# النجف الأشرف

السنة السادسة عشرة - العدد ١٦٥ - شهر جمادى الآخرة - ١٤٤٠ - شباط ٢٠١٩

## حصار الوهابية للنجف..
## قصة صمود وإعجاز

## لغز الكون الممتع..
## مازال طريقاً للمعرفة

## ما هي مظاهر التكافل في الفلوكلور العراقي؟

16th Year Issue No:165-2019

العتبة العباسية المقدسة

# شركة نور الكفيل

للتجارة العامة والانتاج الحيواني والصناعات الغذائية
وانتاج الألبان والعصائر والمثلجات وتصنيع اللحوم المحدودة

العلاقات العامة والمتابعة | 07801966624 | E-mail : hq@islamicalkafeel.com
التسويق والمبيعات | 07801966622 | www.islamicalkafeel.com | net | org

# في كل مائدة

# استيراد!

السيد ليث الموسوي

## أول الكلام

يوم أمس.قال صديقي. كنت أتابع تقريرا عن حجم صادرات الدول الصناعية ونسبة مدخولاتها السنوية جراء ذلك، عندها جال بصري نحو موجودات بيتي فكانت الصدمة!

ممن. قلت له. ؟

فبادرني: وجدت أن كل شيء (كل شيء) في بيتي كان مستوردا!

وبقيت أتمتم مع نفسي علّني أجد هنا أو هناك شيئا مما صنعته أيادي أبناء بلدي، كبلاطات الجدران مثلا، ولكن حتى تلك وجدتها أجنبية المنشأ!

وأنا غارق في دهشتي نودي عليّ لتناول الطعام.

فهرعت مسرعا لعلي أواسي نفسي بما سأجده على المائدة من خيرات بلدي

فما كانت إلا كالصاعقة على أم رأسي، ما هذا، ما الذي يجري؟!!

ثلاثة أطباق من أصل أربعة استوردها تُجّارنا من خلف الحدود!

حينها أدركت أن كل شيء في بلدي مستورد، إلا أمواله فهي للتصدير!

أيعقل هذا؟!

قالها صديقي وعيناه جاحظتان كأنهما سيغادران رأسه.

فأردت أن أخفف عنه بشيء من الدعابة قائلا: لا عليك يا أخي فنحن نمتلك ثروات طبيعية جمة فلا حاجة لنا بالصناعة ومتاعبها.

ولكن أصدقك القول: بأن كل ذلك سيهون إن توقف نزيف استيراد أمور أهم مما ذكرت فازدادت علامات الدهشة على محيا صديقي، وتسارعت أنفاسه وتلجلجت حروف كلماته، يريد السؤال عن تلك الأمور فبادرته: ربما سيهون الخطب علينا إن توقف استيراد الثقافة المشوهة التي باتت تنخر جسد مجتمعنا

وأنت تعلم بأن منظومتنا الفكرية أيضا داهمتها أفكار معلبة ونتنة من شدة فسادها فتعرّق جبين صديقي وتمتم بألم: إذن فهو الانهيار، ولا خلاص لنا

دع عنك التشاؤم. قلت له. فيمكن أن ننهض من جديد.

ففي الواقع أن ما ذكرته ليس هو نهاية المطاف، بل يمكن أن نبدأ.

وإن سألتني عن السبيل إلى ذلك؟

سأجيبك بأن طبيعة المجتمع المتخلف فكريا وثقافيا أن يكون مستهلكا غير منتج، فيستحوذ عليه الاتكال على ما ينتجه الآخرون.

فالولع بالمستورد والإقبال عليه مطرد مع ثقافة الاستهلاك العشوائي

وهذا ما يُراد لنا أن نكون عليه.

ولكن إن التزمنا بفكرنا، وحافظنا على ثقافتنا كانت بداية خلاصنا من استعمار الاستيراد.

وبالتالي سنعتمد بالضرورة على ما تنتجه أيادينا.

# النجف الأشرف

شهرية- اجتماعية - ثقافية - عامة - أُسست في ٢٠ نيسان ٢٠٠٣

العدد (١٦٥)
شهر جمادى الآخر ١٤٤٠هـ

رحلة ثقافية في ستين صفحة..

تصدر عن مؤسسة المرتضى للثقافة والإرشاد رقم الاعتماد في نقابة الصحفيين (٤٠٠) لسنة ٢٠٠٩



14 دراسات

مثلت شخصية النبي(ص) ميداناً واسعًا للبحث الاستشراقي، وفيما حاول البعض من المستشرقين تشويه صورته صلى الله عليه وآله لدواعٍ دينية خارجة عن نطاق البحث العلمي، جاءت الردود من نفس الفئة، فقد رد الباحثون الموضوعيون تلك التهم الباطلة باسلوب علمي رصين بعيدٍ عن التموضع الدينّي.

27 فلوكلور

يبقى التراث العراقي مليئًا بالصور الرائعة التي زيّنت صفحاته، ومن اجمل المظاهر الاجتماعية التراثية التي مازالت سارية في هذا المجتمع ظاهرة التكافل الاجتماعي بين أفراده.

32 آلة الزمن

هجم أكثر من ١٥ ألف بدوي في جيش محمد بن عبد الوهاب على مدينة النجف، فتصدى لهم فقط ٢٠٠ معظمهم من غير المقاتلين، من طلبة العلوم الدينية والبنائين والحمالين، إلى أن انقذتهم معجزة أمير المؤمنين(ع) في آخر معجزة مدونة تاريخيًا بشكل واضح.

اتصل بمجلة النجف الأشرف

+ 964 780 779 0073


أبواب العدد:


- رمزيات
- بانوراما
- قراءة في كتاب
- دراسات
- أنساق معرفية
- حديث الصورة
- واحة الدين
- فولكلور



رئيس مجلس الإدارة
السيد محمد حسين العميدي

رئيس التحرير
ليث الموسوي

مدير التحرير
غيث شُبر

المحررون والكتاب

| | |
|---|---|
| عدنان الياسري | أ.د. صادق المخزومي |
| باسم الساعدي | سليم الجبوري |
| تحسين عمارة | موفق الهاشم |
| حسن الجوادي | د. خديجة القصير |

الإخراج الفني
مقدادغرافيك - سوسن المقداد



مجلة النجف الاشرف

Website:
www.alnajafalashraf.net
www.alnajafalashraf.org

E.mail:
najafmag@gmail.com

P.O.Box: 365

مؤسسة المرتضى للثقافة والإرشاد
النجف الاشرف - نهاية شارع الرسول(ص)

# رمزية المعجزات والكرامات في حياة الإمام

بقلم: أ. د. صادق المخزومي

**يمكن لنا أن نعرف المعجزةبأنها عمل خارق للطبيعة، وخارج عن العقل الإنساني، يقصد بها إظهار صدق من تصدى للنبوة أو للإمامة[1]، ويطلق عليها في التراث الديني «آية»[2]، ففي كلا العهدين؛ القديم والجديد، اقترنت الآيات بأمور معجزية، وارتبطت بتدخل مباشر من الله في الأحداث.**

شاع عند الناس دائماً الاعتقاد بهذا النمط من الاتصال بين العالم المنظور والعالم غير المنظور، والتفسيرات التي يقال: إنها «طبيعية» ـ مهما بدت بارعة ومقنعة ـ لا تجدي في تفسير بعض الظواهر أمام السواد الأعظم من الناس. إن الإيمان الذي يستند على الآيات والعلامات، لا يجب ـ بأي حال ـ الاستخفاف به، فلقد ارتبط بحياة وانجازات كثير من الشخصيات الكتابية الفذة، والشخصيات الإسلامية العظيمة.

طالما تركّز في الوعي الاجتماعيّ الشيعيّ، أنّ الإمام عليّ هو صاحب المعجزات، بل هو الأكثر ـ بين أئمة أهل البيت ـ صدرت عنه الكرامات، وأضحت من صفاته السابغة، يتشدق بها أصحاب كتب الفضائل[3]. فهو الملجأ الأول لذوي الحاجات، وإليه ترجع التوقيعات في إزالة الكروب وفرج الهموم، في حياته وبعد مماته. مثلما كانت معجزاته مؤثرة في مجتمعه تأثيرا حادًّا، حتى ألّههُ أناسٌ من معاصريه، أضحت تنشر رحيق القدسيّة على آفاق العصور.

بيد أنه هو من أصّل رمزية المقدس في سيرته وقوله، إذْ كان يستشرف ما ينبغي أن يقع من حوادث، وقرأ ممارسات أصحابه المستقبليّة، ولّما تحققت دخلت في ثبت الكرامات، واستضاءت بها ذاكرة الأجيال، وتزودت منها أوعيتهم؛ فكان يصرِّح بهذا الإلهام المُشبع بالتقوى، في طي كلامه وخطبه. ففي التنبؤ بالحوادث والفِرَق، كان يقول: «اسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي؛ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِه، لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ، فِيمَا بَيْنَكُمْ

---

١ـ وإن كان هناك تعريفات اخرى للمعجزة .

٢ـ هي ترجمة للكلمة العبرية «أوت» ومعناها علامة أو لافتة، وللكلمة اللاتينية «سينيون» ومعناها إشارة أو علامة، فهي العلامة التي يُميَّز بها الأشخاص أو الأفراد ويُعرفون بها. وقد استخدمت في الكتاب المقدس عموماً ـ فيما يتعلق بمخاطبة الحواس لإثبات أمور غير مرئية أو غير محسوسة من فعل القوة الإلهية، (خر ٤: ٨، يش ٢٤: ١٧...الخ) كما كانت معجزات الرب يسوع المسيح «آيات» لإثبات علاقته الفريدة بالله (مت ١٢: ٣٨، يو ٢: ١٨، أع ٢: ٢٢). المعارف الكتابية (آية). وينظر: المكي، باسم، المعجزة في المتخيل الإسلامي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠١٣، ص ١٢ـ١٣.

٣ـ ابن الصباغ، علي بن محمد المالكي، الفصول المهمّة في معرفة الإئمة، ص ١٠١؛ النقدي، الأنوار العلوية، ص ٣، ٣٣.

وبَيْنَ السَّاعَة، ولَا عَنْ فئَة تَهْدي مائَةً وتُضلُّ مائَة، إلَّا أَنْبأْتُكُمْ بنَاعقهَا، وقَائدهَا، وسَائقهَا، ومُنَاخ ركَابهَا، ومَحَطِّ رحَالهَا، ومَنْ يُقْتَلُ منْ أَهْلهَا قَتْلًا، ومَنْ يَمُوتُ منْهُمْ مَوْتًا»[٤]. أما في مجال استشراف سلوكيّات أصحابه، ففي قوله: «والله، لَوْ شئْتُ أَنْ أُخْبرَ كُلَّ رَجُل منْكُمْ بمَخْرَجه ومَوْلجه وجَميع شَأْنه، لَفَعَلْتُ، ولَكنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فيَّ برَسُولَ الله(ص)، أَلَا وإنِّي مُفْضيه إلَى الْخَاصَّة، ممَّنْ يُؤْمنُ ذَلكَ منْه؛ والَّذي بَعَثَه بالْحَقِّ، واصْطَفَاه عَلَى الْخَلْق، مَا أَنْطقُ إلَّا صَادقًا، وقَدْ عَهدَ إلَيَّ بذَلكَ كُلِّه، وبمَهْلك مَنْ يَهْلكُ، ومَنْجَى مَنْ يَنْجُو، ومَآل هَذَا الأَمْر، ومَا أَبْقَى شَيْئًا يَمُرُّ عَلَى رَأْسي إلَّا أَفْرَغَه في أُذُنَيَّ، وأَفْضَى به إلَيَّ»[٥].

لا شك بأنّ النظرة المقدّسة التي كان قطبَها، أخذت تُرفد من مصادر التراث المعرفي، إذ اكتنزت بالرواية عن معجزاته، ففي قول الإمام علي مخاطبا الجن: «أنا مظهر العجائب، أنا علي بن أبي طالب»[٦]؛ وفي خطبة علي بن الحسين في مجلس يزيد، يصف جدّه عليًّا بأنه: «مظهر العجائب... والشّهاب الثّاقب، والنّور العاقب»[٧]؛ وفي المرويات فضلا عن كثرة وجوده في كتب الشيعة، قيل: حديث «ناد عليا مظهر العجائب» رواه جماعة من العامة في كتبهم[٨]؛ وفي الدعاء ورد: «السلام عليك، يا صاحب المعجزات، السلام عليك، يا مظهر العجائب، والآيات[٩]، ومنبع الغرائب[١٠]؛ وفي الشعر الذي أخذ مأخذ المثل في الشهرة: [الرجز]

**ناد عليًّا مظهر العجائب**

**تجده عونًا لك في النوائب[١١]**

مال أغلب المتصوفة إلى الاعتقاد بأهل البيت ومعجزاتهم، بينما آمنت فرقة البريلوية[١٢] بأنَّ عليًّا أحد الأغواث (الذين يستغاث بهم)، بل أولهم، بحسب «البريلوي»[١٣]: «إن ترتيب الأغواث يبدأ من عليّ، وإن عليًّا يدفع البلاء ويكشف الكروب، ومن دعائه:

**نـــاد عليـًّا مظـــهر العجـــائب**

**تجـده عـــونًا لـــك فـي النـــوائب**

**لي خمسة أطفي بها حر الوباء الحاطمة**

**المصطفى والمرتضى وابناهما والفاطمة[١٣]**

وسُمّيَ «مظهر العجائب»[١٤] عنوانا لبعض كتب المتصوفة، نحو: عطار الهمداني[١٥]، أو قصيدةً في «مثنوي»، ديوان جلال الدين الرومي (٦٠٣-٦٧١/ ١٢٠٧-١٢٧٣)[١٦].

لا غرو في أنْ ينجم الإمام عليّ في عالم الإعجاز عبر منحنيات التاريخ، ويكون نقطة دائرة الكرامات ومرتكزها؛ فهو وصيّ

٤- هج البلاغة، تحقيق صبحي صالح، ص ١٣٧.

٥- م. ن، ص ٢٥٠.

٦- النقدي، الأنوار العلوية، ص٣٦٨.

٧- الخوارزمي، مقتل الحسين، ص ٦٩؛ ابن شهر آشوب، المناقب ٤ / ١٦٨.

٨- منهم: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف، عالم التراث للطباعة والنشر، بيروت، ١٠/ ٣؛ المرعشي، شهاب الدين، إحقاق الحق ٣١/ ٢٢٠.

٩- محمد بن جعفر المشهدي (ق ١٢/٦)، المزار، ص٢٠٨؛ ابن طاووس، إقبال الأعمال ٣/ ١٣٢؛ الشهيد الأول، المزار، ص٩٣؛ المجلسي، بحار الأنوار ٩٧/ ٣٧٤.

١٠- التستري، نور الله، (١٠١٩/ ١٦١٠)، الصوارم المهرقة في جواب الصواعق المحرقة، ص٣١٣

١١- الكفعمي، المصباح، ص١٨٣؛ المجلسي، بحار الأنوار ٢٠/ ٩٣؛ النوري، مستدرك الوسائل ١٥/ ٤٨٣.

١٢- البريلويّة فرقة صوفيّة، نشأت في شبه القارة الهندية الباكستانية، في مدينة بريلي في ولاية أوترابراديش، نسبة إلى مؤسسها أحمد رضا البريلوي (١٢٧٢-١٣٤٠/ ١٨٥٦-١٩٢١). دائرة معارف العالم الإسلامي (بريلوي) ٣/ ٣٦٤-٣٦٧

١٣- محمد رضا البريلوي، الفتاوى الرضويّة ٦/ ١٧٢.

١٤- حاجي خليفة (١٠٦٧/١٦٥٧)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ٢/ ١٧٢٢؛ البغدادي، إسماعيل، هدية العارفين ٢/ ١١٢؛ أغا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢١/ ١٦٨، ٢٢٠، ٢٢/ ١٠١.

١٥- محمد بن إبراهيم بن مصطفى بن شعبان، فريد الدين العطار الهمداني الصوفي (٥١٢-٦٢٧/ ١١١٨- ١٢٣٠). البغدادي، هدية العارفين ٢/ ١١٢.

١٦- أغا بزرك، الذريعة ٢١/ ١٦٨

الرسالة المحمديّة، وإنَّ محلّه منْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ منَ الرَّحَى، بحسب قوله[١٧]، وقد جسَّدت تلكم المعاني المتسامية برمزية المقدس فيه، ولوَّحت بها المرويّات التاريخيّة.

أخرج المَلَّاء[١٨] في سيرته أنه (ص) أرسل أَبَا ذَر يُنَادي عليا، فَرَأَى رحى تطحن في بَيته، وَلَيْسَ مَعهَا أحد، فَأخْبر النَّبِي(ص) بذلك، فَقَالَ: «يَا ابا ذَر، أما علمت أَنَّ لله مَلَائِكَة سياحين في الأَرْض، قد وكلوا بمعونة آل مُحَمَّد(ص)»[١٩].

أورد ابن ابي الحديد: «أن دخل الزبير وطلحة على عليٍّ، فاستأذناه في العمرة، فقال: «ما العمرة تريدان»، فحلفا له بالله، انَّهما ما يريدان غير العمرة، فقال لهما: «ما العمرة تريدان، وإنما تريدان الغدرة ونكث البيعة»، فحلفا بالله، ما الخلاف عليه، ولا نكث البيعة يريدان، وما رأيهما غير العمرة. قال لهما: «فأعيدا البيعة لي ثانيًا»، فأعاداها بأشدّ ما يكون من الأيْمان والمواثيق، فأذنَ لهما. فلمَّا خرجا من عنده، قال ـ لمن كان حاضرا: «والله لا تروْنَها إلا في فتنة يقتلان فيها»، قالوا: يا أمير المؤمنين، فمُرْ بردِّهما عليك، قال: ﴿لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾(الأنفال ٤٤)»[٢٠].

أورد الطبري: «لَمَّا خَرَجَت الْخَوَارِجُ منَ الْكُوفَة أَتَى عَلِيًّا أَصْحَابُهُ وَشِيعَتُهُ فَبَايَعُوهُ وَقَالُوا: نَحْنُ أَوْلِيَاءُ مَنْ وَالَيْتَ وَأَعْدَاءُ مَنْ عَادَيْتَ. فَشَرَطَ لَهُمْ فيه سُنَّةَ رَسُولِ اللهِ(ص) فَجَاءَهُ رَبِيعَةُ بْنُ أَبِي شَدَّادٍ الْخَثْعَمِيُّ، وَكَانَ شَهِدَ مَعَهُ الْجَمَلَ وَصِفِّينَ، وَمَعَهُ رَايَةُ خَثْعَمٍ، فَقَالَ لَهُ: بَايِعْ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ(ص) فَقَالَ رَبِيعَةُ: عَلَى سُنَّةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ. قَالَ لَهُ عَلِيٌّ: وَيْلَكَ! لَوْ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ عَمِلَا بِغَيْرِ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ(ص) لَمْ يَكُونَا عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ، فَبَايَعَهُ؛ فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ، وَقَالَ: أَمَا وَاللهِ، لَكَأَنِّي بِكَ وَقَدْ نَفَرْتَ مَعَ هَذِهِ الْخَوَارِجِ، فَقُتِلْتَ، وَكَأَنِّي بِكَ وَقَدْ وَطِئَتْكَ الْخَيْلُ بِحَوَافِرِهَا؛ فَقُتِلَ يَوْمَ النَّهْرِ مَعَ خَوَارِجِ الْبَصْرَةِ»[٢١].

ثمة إشارة إلى إشكالية رفع القرآن في صفين في كتاب عليّ(ع) لمعاوية: «وكأني بجماعتك يدعونني جزعًا من السيف إلى كتاب الله تعالى»[٢٢]. قال ابن أبي الحديد: واعلم أن قوله هذا: إما أن يكون فراسة نبويّة صادقة، وهذا عظيم، وإما أن يكون اخباره عن غيب مفصَّل، وهو أعظم وأعجب؛ وعلى كلا الامرين، فهو في غاية العجب»[٢٣]. وذكر كتبا له بالمعنى نفسه.

ذكر المدائني في كتاب الخوارج، قال: «لما خرج عليٌّ إلى أهل النهر، أقبل رجل من أصحابه ـ ممن كان على مقدمته ـ يركض حتى انتهى إلى عليّ، فقال: البشرى، فقال: «ما بشراك؟»، قال: إن القوم عبروا النهر لما بلغهم وصولك، فأبشر، فقد منحك الله أكتافهم. فقال له: «أنت رأيتهم قد عبروا؟»، قال: نعم، فأحلفه ثلاث مرات، في كلها يقول: نعم. فقال علي: «والله ما عبروه، ولن يعبروه، إنَّ مصارعهم لدون النطفة، والذي فلق الحبة

١٧ـ المفيد، الارشاد ١/٢٨٧؛ الطوسي: الاقتصاد، ص٢١٠؛ نهج البلاغة ١/٣٠؛ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ٩/٣٠٧.
١٨ـ عمر بن محمد بن خضر الإربلي الموصلي الصوفي (٥٧٠ / ١١٧ظ)، صنف كتاب وسيلة المتعبدين في سيرة سيد المرسلين، مخطوط، مكتبة خدابخش، الهند، رقم١/٢٧٤.
الزركلي، الأعلام ٥/ ٦٠؛ البغدادي، إيضاح المكنون ٤/٧٠٨، هدية العارفين ١/٧٨٤؛ خزانة التراث ٣٥/٢٤٢.
١٩ـ المحب الطبري (٦٩٤/١٢٩٥)، الرياض النضرة ٣/٢٠٢؛ ابن حجر، الصواعق المحرقة ٢/ ٥١٢؛ القندوزي، ينابيع المودة ٢/١٨٧.
٢٠ـ م. س. ١/٢٣٣.
٢١ـ تاريخ ٥/ ٧٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٢/٦٨٧.
٢٢ـ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١٥/٨٣.
٢٣ـ م. ن. ص.

وبـرأ النسمة لن يبلغوا الا ثـلاث، ولا قصر حتى يقاتلهم الله، وقد خاب من افترى». ثم قال: أقبل فارس يركض فقال كقول الأول، فلم يكترث بقوله، فجاءت الفرسان كلها تركض وتقول مثل ذلك، فقام عليٌّ، فجال في متن فرسه، قال: فقال شاب من الناس: والله لأكونن قريبا منه، فإن كانوا قد عبروا النهر، لأجعلن سنان هذا الرمح في عينه؛ أ يدعي علم الغيب؟. فلما انتهى ـ عليه السلام ـ إلى النهر وجد القوم، كسروا جفون سيوفهم، وعرقبوا خيلهم، وجثوا على ركبهم، وحكموا تحكيمةً واحدة، بصوت عظيم، له زجل، فنزل ذلك الشاب فقال: يا أمير المؤمنين، اني كنت قد شككت فيك آنفا، واني تائب إلى الله وإليك، فاغفر لي، فقال علي(ع): «إن الله هو يغفر الذنوب فاستغفره»، لما بدأ النزال، فقال علي(ع) لأصحابه: احملوا عليهم، فو الله، لا يقتل منكم عشرة، ولا يسلم منهم عشرة. فحمل عليهم فطحنهم طحنًا، قُتل من أصحابه تسعةٌ، وأفلتَ من الخوارج ثمانيةٌ»[٢٤].

كان عليٌّ يحدِّث أصحابه، قبل ظهور الخـوارج: «إن قوما يخرجون، يمرُقون مِنَ الدِّين كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّة، علامتهم رجل مخدج اليد»، سمعوا ذلك منه مرارا. فلما خرج أهل النهروان وسار إليهم عليّ، وفـرغ؛ خـرج في طلب ذي الثدية وَمَـعَـهُ سُلَيْمَان بن ثمامة الحنفي أَبُو جبرة، والريان بن صبرة ابن هوذة، فوجده الريان في حفرة عَلى شاطئ النهر في أربعين أو خمسين قتيلا؛ فلما استخرج نظرَ إلى عضده، فإذا لحم مجتمع عَلى منكبه، كثدي المرأة، لَهُ حلمة، عَلَيْهَا شعرات سود، فإذا مدت امتدت، حَتَّى تحاذي طول يده الأخرى، ثُمَّ تترك فتعود إلى منكبه كثدي المرأة، فلما استُخرج قَالَ عليّ: اللهُ أكبر! وَاللهِ، مَا كَذَبْتُ ولَا كُذِّبْتُ، أما وَاللهِ، لولا أنْ تنكلوا عن العمل، لأخبرتكم بمَا قضى الله على لسان نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمن قاتلهم مستبصرا في قتالهم، عارفا للحق الذى نحن عليه»[٢٥].

من كرامات الإمام علي أنه أخبر عن قتل ابن الزبير بمكة، واستحلاله حرمة البيت، كما في خبر الطبري: «لما عزم الحسين على الخروج من مكة جاءه عبد الله بن الزبير، وتكلم معه بما تكلم، وأجابه الحسين بما أجاب، حتى قال عبد الله ابن الزبير: يا بن رسول الله، قد حضر الحج؛ أو تدعه وتأتي العراق؟ فقال الحسين: يا بن الزبير، لإنْ أُدفن بشاطئ الفرات أحب إلي من أن أدفن بفناء الكعبة، ان أبي حدثني: ان بها كبشا يستحل حرمتها، فما أحب أن أكون ذلك الكبش؛ يعني بذلك ابن الزبير»[٢٦].

مـن ذلـك قـول الإمـام علي لـلبراء بن عازب: «يا براء، أ يقتل الحسين، وأنت حي لا تنصره؟!» فقال البراء: لا كان ذلك يا أمير المؤمنين. فلما قتل الحسين(ع) كان البراء يذكر ذلك، ويقول: أعظم بها حسرة، إذ لم أشهده، وأقتل دونه[٢٧].

من المكارم ما نقل نصر بسنده: انّ عليًّا أتـى كربلاء، فوقف بها، فقيل لـه: يا أمير المؤمنين، هذه كربلاء، فقال: «ذات كرب وبلاء»، ثم أومأ بيده إلى مكان فقال: «ها هنا موضع رحالهم، ومناخ ركابهم»، ثم أومأ بيده إلى مكان آخر، فقال: «ها هنا مهراق دمائهم»[٢٨]. وفي خبر آخر له، أنّه في موقفه بكربلاء كان يشير بيده ويقول: هاهنا، هاهنا. فقال له رجل: وما ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: ثقل لآل محمد ينزل هاهنا؛ فويل لهم منكم، وويل لكم منهم!. فقال له الرجل: ما معنى هذا الكلام، يا أمير المؤمنين؟ قال: ويل لهم منكم: تقتلونهم، وويل لكم منهم: يدخلكم الله بقتلهم إلى النار[٢٩].

---

٢٤ـ نقلها عنه ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٢/٢٧٢؛ وقارن: المسعودي، مروج الذهب ٢/٤٠٥.

٢٥ـ الطبري، تاريخ الرسل ٥/٨٨؛ الخطيب، تاريخ بغداد ١/ ١٧٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٢/٦٩٤.

٢٦ـ تاريخ الرسل والملوك ٤/٢٨٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية ٨/١٧٩.

٢٧ـ المفيد، الإرشاد ١/٣٣١؛ ابن شهرآشوب، المناقب ٢/١٠٦؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١٠/١٦؛ الخطيب التبريزي، الإكمال في أسماء الرجال، ص٢٥؛ الشيرواني، المولى حيدر، مناقب أهل البيت، ص ٢١٤.

٢٨ـ حدثنا بن حكيم العبسي، عن الحسن بن كثير، عن أبيه المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفّين، ص١٤٢؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٣/١٧١؛ الشيرواني، مناقب أهل البيت، ص ٢٠٤.

٢٩ـ م. ن. ص ١٤١.

نقل ابن أبي الحديد بسند الثقفي عن محمد بن علي، قال: لما قال عليّ(ع): «سلوني قبل أن تفقدوني؛ فو الله، لا تسألوني عن فئة تضل مائة، وتهتدي مائة، إلا أنبئكم بناعقها وسائقها». فقام إليه رجل فقال: أخبرني كم في رأسي ولحيتي من طاقة شعر؟ فقال له علي(ع): «والله لقد حدثني خليلي ان على كل طاقة شعر من رأسك ملكا يلعنك، وان على كل طاقة شعر من لحيتك شيطانا يغويك ـ وانَّ في بيتك لسخلا[30] يقتل ابن رسول الله(ص)». وكان ابنه قاتل الحسين ـ يومئذ ـ طفلا يحبو، وهو سنان بن أنس النخعي[31].

من ذلك رواية: «أن رجلا جاء إلى أمير المؤمنين(ع)، فقال: يا أمير المؤمنين، إني مررت بوادي القرى، فرأيت خالد بن عرفطة، قد مات بها، فاستغفر له، فقال أمير المؤمنين(ع): «مَهْ، إنَّه لم يمت، ولا يموت، حتى يقود جيش ضلالة، صاحب لوائه حبيب بن حمَاز» فقام رجل من تحت المنبر، فقال: يا أميرَ المؤمنين، والله إني لك شيعة، وإني لك محبٌّ، قال: ومن

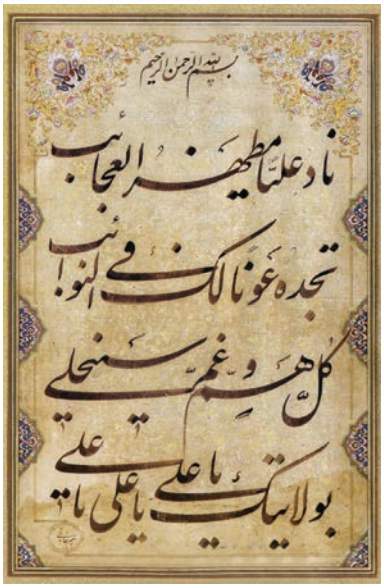


أنت؟، قال: أنا حبيب بن حماز، قال: «إياك أن تحملها، ولتحملنَّها، فتدخل بها من هذا الباب «وأومأ بيده إلى باب الفيل. فلما... كان من أمر الحسين بن علي ومن ظهوره ما كان، بعث ابن زياد لقتاله بعمر بن سعد، وجعل خالد بن عرفطة على مقدمته، وحبيب بن حماز صاحب رايته، فسار بها حتى دخل المسجد من باب الفيل[32].

في حديث علي لأهل العراق: «اللهم إني قد مللتهم وملوني، وسئمتهم وسئموني، فسلط عليهم فتى ثقيف، الذيال، المنان، يلبس فروتها، ويأكل خضرتها»[33]. أراد بالفتى الثقفي: الحجاج بن يوسف (٤٠ ـ ٩٥ / ٦٦٠ ـ ٧١٤)، قيل: انه ولد في السنة التي دعا فيها بهذه الدعوة. نقل عن حبيب بن أبي ثابت: قال علي لرجل: «لا تموت حتى تدرك فتى ثقيف». قيل له: يا أمير المؤمنين، ما فتى ثقيف؟ قال: «يقال له ـ يوم القيامة: أكفنا زاوية من زوايا جهنم، رجل يملك عشرين أو بضعا وعشرين، لا يدع لله معصية إلا ارتكبها، حتى لو لم تبقَ إلا معصية واحدة، وبينه وبينها باب مغلق، لكسره حتى يرتكبها، يقتل بمن اطاعه من عصاه»[34]؛ وتحقق أن تمت ولايته على العراق والمشرق طيلة عشرين سنة[35].

قال ابن أبي الحديد: ومن عجيب ما وقفت عليه من ذلك، قوله ـ عليه السلام ـ في الخطبة التي يذكر فيها الملاحم، وهو يشير إلى القرامطة[36]: «ينتحلون لنا الحب والهوى،

---

٣٠ـ يقال السَّخْلةُ لولد الغنم من الضأن والمعز ساعة وضعه ذكرا كان أو أنثى وجمعه سَخْلٌ. قاموس المعاني (سخل).

٣١ـ روى هلال الثقفي في كتاب الغارات، عن زكريا بن يحيى العطار، عن فضيل، عن محمد. شرح نهج البلاغة ٢/٢٨٦ ؛ المجلسي، بحار ٣٤/٢٩٧، ٤١/٣٢٨

٣٢ـ رواه الحسن بن محبوب، عن ثابت الثمالي، عن أبي إسحاق السبيعي، عن سويد بن غفلة. المفيد، الإرشاد ١/٣٣٩، الاختصاص، ص٢٨٢؛ وقارن: أبو الفرج، مقاتل الطالبيين، ص٤٦؛ ابن شهرآشوب، مناقب ٢/١٠٥؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١/٢٧٨؛ ابن طاووس، علي بن موسى (٦٦٤/١٢٦٦)، التشريف بالمنن في التعريف بالفتن، ص٢٣٤.

٣٣ـ ابن الفقيه الهمذاني، البلدان، ص٢٢٣؛ الزمخشري، الفائق ٣/١٢٥؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق ١٢/١٦٨؛ ابن الأثير(٦٠٦/١٢١٠)، النهاية في غريب الحديث ٢/٤١؛ المتقي الهندي، كنز العمال ١١/٣٦٢؛ الشيرواني، مناقب أهل البيت، ص ٢٠٦. وقال الزمخشري: معناه: يلبس الدفئ اللين من ثيابها، ويأكل الطري الناعم من طعامها. الفائق ٣/١٢٥.

٣٤ـ ابن الأثير، الكامل في التأريخ ٤/٥٨٧.

٣٥ـ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤/ ٣٤٣.

٣٦ـ ترجع حركة القرامطة إلى حمدان قرمط الكوفي، واشتهروا بأبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي، من أهل جنابة بفارس. الذي جعل يدعو العرب إلى نحلته فعظم أمره، فحاربه الخليفة و لم يظفر به. استولى على هجر والأحساء والقطيف وسائر بلاد البحرين، وكان شجاعا داهية، قتله خادم له صقلبي في الحمام بهجر سنة ٣٠١هـ، فتولى ابنه أبو طاهر سليمان أمر القرامطة بعده. ابن الأثير، الكامل ٦ / ١٤٧.

ويضمرون لنا البغض والقلى، وآية ذلك قتلهم وراثنا وهجرهم أحداثنا». وصحَّ ما أخبر به؛ لأن القرامطة قتلت من آل أبي طالب خلقًا كثيرا، وأسماؤهم مذكورة في كتاب «مقاتل الطالبيين» لأبي الفرج الأصفهاني[٣٧]. ومرَّ أبو طاهر سليمان بن الحسن الجنابي في جيشه بالغري وبالحائر، فلم يعرج على واحد منهما، ولا دخل، ولا وقف. ففي سنة (٣١٢/ ٩٣٤) أغار على الكوفة، وعاث فيها قتلا ونهبا. وفي هذه الخطبة قال ـ وهو يشير إلى السارية التي كان إليها في مسجد الكوفة : «كأني بالحجر الأسود منصوبًا ها هنا؛ ويْحَهُم، إنَّ فضيلةً ليست في نفسه، بل في موضعه وأسسه، يمكث ها هنا برهة، ثم ها هنا برهةً؛ وأشار إلى البحرين، ثم يعود إلى مأواه وأمِّ مثواه»[٣٨]. ووقع الامر في الحجر الأسود بموجب ما أخبر به الإمام علي، إذ أغار أبو طاهر على مكة يوم التروية (سنة ٣١٧) والناس محرمون، فاقتلع الحجر الأسود، وأرسله إلى هجر، وفي سنة (٣٣٩/ ٩٥١) رد الحجر الأسود إلى مكة، بعدما علق بجامع الكوفة بضع سنين[٣٩].

حفل التراث، ولا سيما كتب المناقب والفضائل، بذكر كمٍّ غزير من الكرامات والمعجزات لأئمة أهل البيت في حياتهم اليوميّة، ومجّدتها مخيلة الشعراء، إذ انبرى نخبة منهم إلى التصدي لتلكم المناقب التي كانت تتحرك كالرمال في مسار الرياح العقديّة، ونظموا حباتها في خيط أشعارهم، فجاءت مفعمة بالموسيقى، تتناغم مع التنشئة الاجتماعيّة للمريدين، بل كانت ترجمة لمدى تطلعات المجتمع وانتمائه إلى آل البيت؛ ومنهم من أفنى عمره في المسيرة التعبويّة، حتى نال لقب «شاعر أهل البيت»، مثل السيد الحميري (٧٩٠/١٧٣) ودعبل الخزاعي (٨٦٠/٢٤٦)، وآيتهم أنَّ لهم قصائدَ في حبِّ آل البيت، ونشر مناقبهم، أطلق عليها «القصائد الذهبيَّة»، وهي التي ظلَّت تُغْبِقُ وتُصْبِح في الروح الاجتماعيّة للتشيع عبر التاريخ، فقد عُنيت أقلام العلماء والكتاب بشرحها ونشرها[٤٠].

نقل أبو الفرج (٩٦٧/٣٥٦) بسنده عن المدائني (٨٤٠/٢٢٥)، قال: كان السيد الحميري يأتي الأعمش (٧٦٥/١٤٨)[٤١] فيكتب عنه فضائل علي ـ رضي الله عنه ـ ويخرج من عنده ويقول في تلك المعاني شعرا فخرج ـ ذات يوم ـ من عند بعض أمراء الكوفة، وقد حمله على فرس، وخلع عليه، فوقف بالكناسة، ثم قال: «يا معشر الكوفيين، من جاءني منكم بفضيلة لملعلي بن أبي طالب، لم أقل فيها شعرا، أعطيته فرسي هذا وما عليَّ»؛ فجعلوا يحدثونه وينشدهم، حتى أتاه رجل منهم، وقال: إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ عزم على الركوب، فلبس ثيابه، وأراد لبس الخفّ، فلبس أحد خفيه، ثم أهوى إلى الآخر ليأخذه، فانقض عقاب من السماء، فحلق به، ثم ألقاه، فسقط منه أسود، وانساب فدخل حجرا، فلبس علي ـ رضي الله عنه ـ الخفَّ؛ قال: ولم يكن قال في ذلك شيئا، ففكر هنيهة، ثم قال: [المتقارب]

**ألا يا قوم للعجب العجاب**
**أتى خفًا له وانساب فيه**
**فخر من السماء له عقاب**
**فطار به فحلق ثم أهوى**
**إلى حجر له فانساب فيه**
**لينهش رجله منه بناب**
**من العقبان أو شبه العقاب**
**به للأرض من دون السحاب**
**بعيد القعر لم يرتج بباب**

٣٧ـ شرح نهج البلاغة ١٤/١٠.
٣٨ـ ترجمته: المسعودي، التنبيه والاشراف ٣٣٠؛ الصفدي، الوافي بالوفيات ١٥/ ٢٢٦؛ ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات ٤٤٨/١.
٣٩ـ ابن الاثير، الكامل في التاريخ ٨/ ٤٨٦.
٤٠ـ أنظر: الفضائل العلوية: شرح المرتضى على مذهبة الحميري البائية، بتحقيقنا، دار البصائر، بيروت، ٢٠١٥.
٤١ـ ابو محمد سليمان بن مهران الأسدي مولاهم. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٤٢/٦؛ خليفة بن خياط: الطبقات ٢٧٨؛ البخاري: التاريخ الصغير ٨٧/٢.
٤٢ـ الأغاني ٢٧٧/٧.

# القضية المهدوية..
# الخطاب الوحدوي الاخير

## من مقالات سماحة السيد محمد علي الحلو(رحمه الله) التي لم تنشر

**اعتمد الخطاب المعتدل أن يبحث عن مشتركات الامة والتي تجمع ثمة كثيرا من الامكانيات لتوظيفها قوة للأمة ووجودها، وقد لاحظنا أن الكثير من المهتمين بالشأن الاسلامي يبحثون عن الخطاب المعتدل، وأن بعضهم ينعى على الأمة فقدانها لهذا الخطاب، والحكمة من كل ذلك هو إيقاظ الأمة الإسلامية جمعا، بأن مشتركاتها متوفرة بشرط عدم الاصغاء إلى خطابات الضياع والتشرذم والاستضعاف، وبالتالي الخطاب الطائفي التي ترسم ملامحه في دوائر طائفية تحركها امكانيات وقوى استعمارية تتخندق في تيار متطرف يسعى إلى إجهاض مشروع الحالة الإسلامية التي اسلمت لها الامة جمعاء، وبالتالي فهي - أي هذه الدوائر - تبحث ليل نهار من أجل الوقوف على أهم اسباب قوة الامة التي تعطيها مدد الانتصار ودواعي البقاء.**

وإذا استرسلنا في الحديث عن الخطاب التوعوي للأمة فإن ثمة أمراً مهمًا سيبرز في بحثنا هذا وهو الوقوف على مشروع الظهور المهدوي الذي قدّمته السماء بديلاً عن كل الطموحات الوضعية التي أبهرت بعضهم، فمشروع الظهور المهدوي لم تقدمه الملاحم الحديثية النبوية لجهة دون أخرى و لم تحتكره تلك الجهة أو هذه الطائفة، بل بقي المشروع المهدوي قيد الاحتواء من قبل البعض والاقصاء من قبل آخرين، وتراكمت بسبب هذا وذاك تقليديات ثقافية، ومعطيات فكرية تؤسس للمشروع المهدوي بحيثياتها الإيجابية أو دواعيها السلبية، وهكذا ارتكزت في أذهان الكثير من المغفلين أن القضية المهدوية هي من مختصات طائفة دون أخرى، وقد صُدر هذا الخطاب الاقصائي إلى القواعد المسكينة لتتلقاه مرتكزاً مقدساً في مخيلتها وستجند من أجل اقصاء هذه القضية والوقوف ضد متبنياتها، في حين أن هذه القواعد بدأت تكتشف مؤامرة الاقصاء التي قادتها دوائر سياسية تاريخية، أموية أو عباسية وتبنتها حلقات سلفية متطرفة تسعى لتجهيل الأمة في هذا الشأن الإسلامي المهم.

إذن فالبحث عن المشتركات الحقيقية التي توحّد الأمة في خطابها ورؤيتها ستكون القضية المهدوية التي أجمع عليها المسلمون وأطبق كلهم على ضرورتها وتأصيلها فكرياً وحديثياً، وإذا كان الامر كذلك فأن المهتمين بشأن الخطاب الوحدوي عليهم ملاحظة هذه القضية الخطيرة والتي اضحت مثاراً للجدل بسبب تجاذبات القوى التي اجهضت المشاريع الإسلامية الوحدوية، واستطاعت إلغاء فكرة امكانية الوحدة لضياع الكثير من المرتكزات التي كان من شأنها أن تعطي مدداً وحدوياً قابلاً للبقاء، في حين القضية المهدوية هي المشترك الأجلى الذي لم يختلف عليها اثنان مستمدة قوتها من المعطى القرآني، والحديث النبوي فضلاً عن السنن الكونية التي لا تسمح للظالم من ديمومة مشروعه مهما بذل جهداً في البقاء والابقاء، وبذلك فإن المشروع المهدي يصلح أهم خطابات الوحدة التي تجمع الأمة تحت مظلة العدل ومكافحة الظلم والحرمان.. بل إن الخطاب المهدوي سيكون المشروع الإنساني الذي يوحد جميع الأمة ويربطها بالمشترك الإنساني المقدس.. وهما إشاعة السلام ومحاربة مظاهر العنف والتطرف والإلغاء.

# الدراسات الاستشراقية

# ودورها في قراءة السيرة النبوية

بقلم: د خديجة حسن علي القصير

**لقد اختلفت نظرة المستشرقين للسيرة النبوية عموما وقد مثلت سيرة الرسول محمد(ص) وسلم وشخصيته ميدانا واسعا في كتابات المستشرقين وكانت كتاباتهم تتفاوت حولها فالبعض منهم حاول جاهدا ايجاد منافذ وثغرات يمكن من خلالها تشويه سيرته العطرة صل اللّه عليه وآله وسلم باختلاق الاباطيل ونسبتها اليه.**

وتأتي في مقدمة الأمور التي أثارت المستشرقين في سيرة الرسول هي «طفولته ونشأته» حيث يقول المستشرق كارل بروكلمان: «ولسنا نملك بينة موثوقا بها عن حياة النبي الاولى»[1]. اما رودنسون يقول عن طفولة الرسول صل الله عليه واله وسلم: «انه لايملك معلومات مؤكدة عنها»[2]. ومن الامور الاخرى التي أثارها المستشرقون حول حياته «تعدد زوجاته» حيث الصق بعض المستشرقين بالرسول تهمة الشهوانية ويقول مونتجمري وات: «وهناك اتهام أوروبي مسيحي لمحمد بأنه شهواني أو أنه، بلغة القرن السابع عشر، الفظة «فحاش مسن» غير أن هذه التهمة تسقط إذا فحصناها على ضوء الأفكار السائدة في عصر محمد. كان الفكر الإسلامي في أول ظهور الإسلام يميل إلى تضخيم شخصية النبي ورفعها فوق مستوى البشر، ويوجد حديث يقول: (إن محمداً قد أعطي من قوة الرجولة ما يجعله يستطيع أن يقسم ليلته بين جميع نسائه). ولا شك أننا هنا بصدد حديث موضوع لان الحديث العادي يقول بأن محمداً كان يخصص ليلة لكل واحدة من نسائه، ونستطيع على كل حال أن نحكم من وراء ذلك على موقف بعض أتباع محمد منه. كان المسلمون الاول سيئي الظن بالعزوبية، وكانوا يعارضونها في كل مناسبة حتى الزهاد في الإسلام كانوا عادة متزوجين»[3].

ويناقش الباحث الفرنسي المستشرق إتيين دينيه في كتابه: «محمد رسول الله»[4] من يعيب على الرسول صل الله عليه وآله وسلم حبه النساء، بقوله: «كان محمد يحب النساء، وقد عاب عليه الكثير من الأعداء ذلك. وحقاً كان محمد رجلاً بكل ما في الكلمة من معان خلقية ومادية، ورجولته امتازت بالعفة التي لا تتعارض مع أسباب اللذة

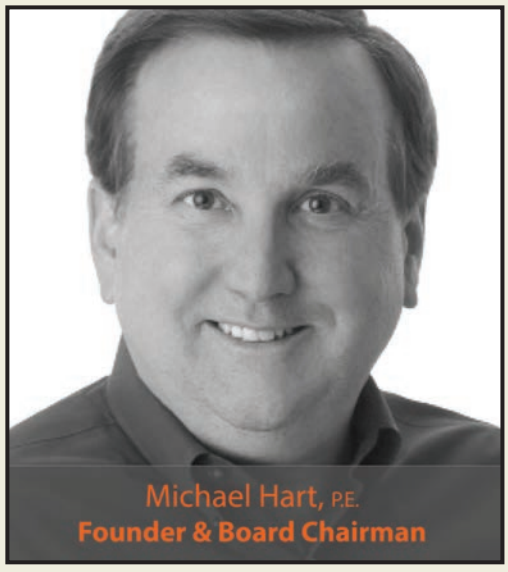


**"إن اختياري محمداً ليكون الأول في قائمة أهم ١٠٠ رجل في التاريخ ربما أدهش الكثير من القراء، ولكن محمداً كان الرجل الوحيد الذي نجح بشكل اسمى في المستويين الديني والدينوي وما يزال تأثيره عارماً قوياً بعد ١٣ قرن من وفاته".**

**مايكل هارت مؤلف كتاب الخالدون المائة**

البريئة المجردة من الدنس،وعلى منواله سلك العرب الذين يمتازون حتى أيامنا هذه بالعفة والحياء الخاليتين من كل تكلف ورياء، لا كحياء المغالين في الدين وعفتهم المصطنعة المدعاة. وإذا كان محمد قد عقد على ثلاث وعشرين زوجة فإنه لم يتصل إلا باثنتي عشرة منهن. أما الأخريات فتزوجهن لأسباب سياسية محضة، إذ كانت كل القبائل ترغب في شرف مصاهرته. وقد كثرت عليه الطلبات في شأن ذلك ويروى أن عزة أخت دحيه الكلبي ماتت من شدة الفرحة عندما نبئت أن الرسول قبل الزواج بها وقد كان الرسول صل الله عليه وآله وسلم يعطف على النساء جميعاً وحاول في كل مناسبة أنصافهن. فحرم أول ما حرم وأد البنات، تلك العادة القبيحة القاسية التي تحدثنا عنها فيها سبق. ثم وضع حداً لتعدد الزوجات، فجعل العدد الأقصى منهن أربعاً، وزاد على ذلك أن نصح المؤمنين بالتفكير في الآية: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾[٥].

ومن جهته ناقش العقاد في كتابه «عبقرية محمد» آراء المستشرقين فيما خص علاقة الرسول بالمرأة، وفند مزاعمهم عن انسياقه وراء رغباته الجنسية ونزواته، فالرسول برأيه هو أولا يقيم علاقات طبيعية مع المرأة وثانياً هو طبيعي بحبه المرأة إذ يقول: «ونحن قبل كل شيء لا نرى ضيراً على الرجل العظيم أن يحب المرأة ويشعر بمتعتها، هذا سواء في الفطرة ـ لا عيب فيه، وهذه النفس السوية يمكننا أن نفهمها بجلاء حين نرى أن المرأة لم تشغله عما تشغل المرأة الرجل المفرط في معرفة النساء عن مهام الأمور والقيام بالأعباء الجسام.. فمهما قال هؤلاء فلن يستطيعوا أن ينكروا أن محمداً قد حقق ما لم يحققه بشر قبله ولا بعده، لم يشغله عن هذا شيء،لا امرأة ولا غير امرأة، فإن كانت عظمة الرجل قد أتاحت له أن يعطي الدعوة حقها، ويعطي المرأة حقها، فالعظمة رجحان وليست بنقص، وهذا الإستيفاء السليم كمال وليس بعيب»[٦]. ودلت الدراسات المنصفة عن حياة الرسول أن زواجه من نسائه كان بعيداً عن الاستلام للنزوات الجنسية والانغماس باللذة، على عكس ما ذهب إليه المستشرقون المغرضون يقول العقاد: «قال لنا بعض المستشرقين إن تسع زوجات لدليل على فرط الميول الجنسية، قلنا إنك لا تصف السيد المسيح بأنه قاصر الجنسية لأنه لم يتزوج قط. فلا ينبغي أن تصف محمداً بأنه مفرط الجنسية لأنه جمع بين تسع نساء»[٧].

ومن هنا نجد أن التهم الاستشراقية التي تلصق بالرسول الشهوانية، تتهاوى أمام النقد، وتتساقط أمام الحقائق التاريخية. بل إن رسالة الإسلام كانت خيراً للمرأة إذ جعلتها صنواً للرجل، وعماداً للأسرة، وأعطتها الحقوق

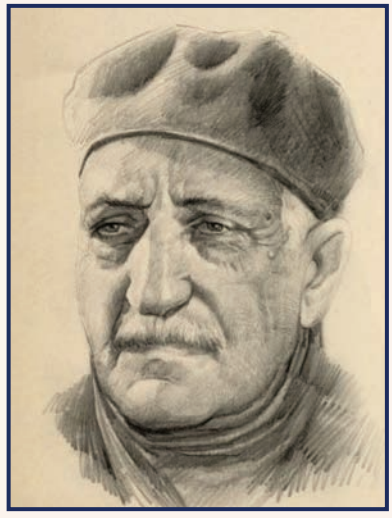

**"ونحن لا نرى ضيرًا على الرجل العظيم أن يحب المرأة ويشعر بمتعتها، فهذا سواء في الفطرة ولا عيب فيه، بل هذه هي النفس السوية"**

**المفكر المصري**
**عباس محمود العقاد**

القانونية والاقتصادية وعززت مكانتها الاجتماعية.. فرسالة الإسلام العالمية التي حملت الخير، وحققت العدالة والمساواة لأبناء المجتمع الواحد، والإخاء بين الشعوب المختلفة حري بها أن تكون حاملة الخير والعدل للمرأة، وعملت على المحافظة على عفتها.

والنقطة الأخرى التي أثارت المستشرقين وأخذوا يحيكون حولها الكثير من الدراسات والتفسيرات «ظاهرة الوحي» وكما ان هناك مستشرقون منصفون لا يتجاوزون وصف النبي صل الله عليه وآله وسلم بالذكاء والعبقرية التي يرون انها مكنته من حل مشاكل العرب عبر ثورة إصلاحية عامة وجذرية، وكما وجد هؤلاء المستشرقين وجد آخرون من يقارنون بين ما يحدث للنبي عند نزول الوحي عليه من معاناة وبين الأعراض المرضية النفسية حيث يصف البعض من المستشرقين ان ما يصيب الرسول من أعراض أثناء تلقيه للوحي من الإمارات الخارجية التي تبدو على وجهه وعينه وجبينه، من شحوب أو احتقانأو تصبب عرق،أو ما يرافق ذلك من أصداءأو أصوات مثلما تذكر الروايات الإسلامية[٨]. اما المستشرق مونتجمري واط من خلال كتابه الشهير «محمد في مكة» حاول واط ان يظهر بمظهر الحياد العلمي لكنه لم يستطع ان يخفي تحامله على الرسالة المحمدية، ونلمس ذلك بوضوح عند حكمه بصدق النبي محمد صل الله عليه وآله وسلم فيما يراه ويقوله عن ظاهرة الوحي غير أنه لا يحكم بصحة ما يراه ويقوله، وكأنه يريد القول أن ما يراه محمد لا يعدو الخيالات المرضية»[٩].

وقد كفانا بعض المستشرقين الرد على هذه الرؤية الخاطئة، ومنهم المستشرق الانكليزي وليم مور الذي قال: «وتصوير ما يبدو على محمد في ساعات الوحي على هذا النحو الخاطئ من الناحية العلمية خطا كبيرا. فنوبة الصرع لا تترك عند من تصيبه اي ذكر لما مر به أثناءها، بل يصاب بالنسيان خلال هذه المدة من حياته بعد أن يفيق نسيانا تاما، ولا يذكر شيئا مما صنع أو حل به خلالها، لان حركة الشعور والتفكير تتعطل عنده تمام العطل. وهذه أعراض كما ثبتها العلم، و لم يكن ذلك ما يصيب النبي العربي صل الله عليه وآله وسلم أثناء الوحي، بل كانت تتنبه حواسه المدركة في تلك الأثناء تنبهاً لا عهد للناس به، يذكر بدقة كل ما يتلقاه بعد ذلك على أصحابه. ثم إن نزول الوحي لم يكن مقترناً دوما بالغيبوبة الحسية مع وجود الإدراك الروحي، بل كثيراً ما يحدث الوحي والنبي صل الله عليه وآله وسلم في تمام يقظته العادية»[١٠].

ويورد مستشرق اخر الا وهو بدلي رأيا مختلف عن أقرانه في الوحي مفاده: «وقد انتابه على مر الايام حالة عصبية في تفكيره.. وقد أثر الصيام والسهر في صحة محمد الذي كان قد اعتاد على الاكل والحركة والحياة الطليقة، فكان يرى أثناء نومه الخفيف رؤى غريبة كان يتذكرها جيدا حين يصحو.. وإلى جانب هذا يؤكد بدلي

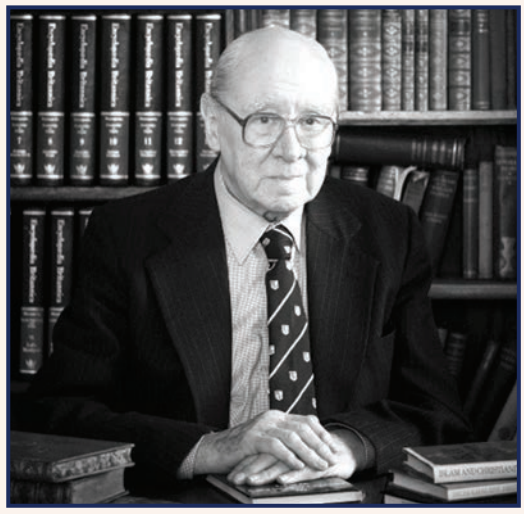

# "لو لم يكن محمد نبياً ورجل دولة وإدارة لما كتب فصلاً مهماً في تاريخ الإنسانية"

## الفيلسوف والمستشرق البريطاني مونتجمري وات

رسالة محمد بقوله: وما من يهودي أو بوذي أو مسيحي قد رأى دينه ينمو امام عينيه بهذه السرعة المعجزة، وما من قائد ديني آخر قد كوفئ كما كوفئ محمد في حياته، وانه ليبدو كإنما شاء الله ان يؤكد ان محمد آخر رسله، وان الإسلام آخر أديانه، أما الوحي فهو ما انفرد به الرسول، يقول بدلي ايضًا: ان محمدا ينفرد في تاريخ الديانات بأنه كان يوحى اليه جميع ما كان يفعله، وما كان قديسا ولا ملكا، وما كان له ما يميزه في الحياة عن المسلمين الاخرين لو استثنينا شخصيته الفذة،فما كان له اسم ذائع ولا مال معدود وما كان يعيش عيشة تختلف عن سائر الناس إلى أن يقول: وقلما أفكر فيه كمؤلف للقرآن ذلك الكتاب العجيب من الاحكام والدين والنظم[١١].

ترتبط بهذه النقطة «نزول الوحي» على النبي محمد نقطة أخرى الا وهي المصدر الذي اخذ منه الرسول دينه وبالطبع فان هذه النقطة ايضا حدث فيها الكثير من الاختلافات بين المستشرقين في آراءهم فبعضهم يورد ان الدين الذي جاء به محمد ما هو الا نتيجة لتأثره بالديانات السابقة وخاصة اليهودية والنصرانية فهم يقولون أن محمدا صل الله عليه وآله وسلم قد أخذ معلوماته الدينية من مصادر يهودية ومسيحية وهم حين يجدون اختلافاً بين معلومات الاسلام ومعلومات الديانتين السابقتين يردون ذلك إلى الجهل وعدم المعرفة الدقيقة بعلوم اهل الكتاب، وهنا يتهمون المصادر التي اخذ عنها النبي بأنها مصادر غير موثوقة. وإلى جانب المصادر اليهودية والمسيحية فان المستشرقين وقفوا عند المصادر العربية الجاهلية التي اخذ عنها النبي بعض معلوماته وممارساته الدينية حسب زعمهم، ومن أبرز هؤلاء كارل بروكلمان الذي زعم أن النبي صل الله عليه وآله وسلم أخذ الكثير من تعاليمه من المصادر العربية الجاهلية مثل صلاة الجمعة، وصوم عاشوراء[١٢].

وما أورده كذلك المستشرق جولد تسيهر: «لكي نقدر عمل محمد من الوجهة التاريخية، ليس من الضروري أن نتساءل عما إذا كان تبشيره ابتكارًا وطريفًا من كل الوجوه ناشئًا عن روحه، وعما إذا كان يفتح طريقًا جديدًا بحتًا؛ فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجًا منتخبًا من معارف وآراء دينية، عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثرًا عميقًا، والتي رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقة عند بني وطنه، وهذه التعاليم التي أخذها عن تلك العناصر الأجنبية كانت في رأيه كذلك ضرورية لتثبيت ضرب من الحياة في الاتجاه الذي تريده الإرادة الإلهية»[١٣].

ومن الأمور التي أثار حولها المستشرقين الشكوك حادثة الإسراء والمعراج والتي أشير اليها في القرآن الكريم في سورة الإسراء.وقد تعرض البعض إلى هذه الحادثة بأنها رؤيا للنبي محمد صل الله عليه واله وسلم، ولكن الأحاديث الصحيحة المتواترة صريحة في إنهما لم يكونا في عالم الرؤيا، إنما

**"كان محمد رجلاً بكل ما في الكلمة من معان خلقية ومادية، ورجولته امتازت بالعفة التي لا تتعارض مع أسباب اللذة المجردة من الدنس"**

**المستشرق الفرنسي**
**إيتين دينه**

كانا في اليقظة بالجسم والروح، وكان هذا موضع الإعجاز، وكان هذا مما أنكرته قريش[١٤]. وكما هو متعارف ان الإسراء ثابت في كتاب الله سبحانه و تعالى، يعرف ذلك كلُّ مَن نظر في سُوره وآياته، وإن هناك سورة تحمل اسم هذا الحدث في القرآن الكريم، وهي سورة الإسراء التي صدَّرها الله سبحانه وتعالى بقوله الكريم: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[١٥]، و لم يذكر القرآن الكريم أن الإسراء كان رؤيا منامية، بل بين أنه رحلة حقيقية في اليقظة، أُسري فيها برسول الله صل الله عليه وآله وسلم روحًا وجسدًا إلى المسجد الأقصى بفلسطين، واما المعراج فقد ورد أيضا في القرآن الكريم في قوله تعالى في سورة النجم: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى(٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى(١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾[١٦].

وعلى الرغم مما تقدم وما لاحظناه من طعونات للبعض من المستشرقين للرسول وانتقاصهم من شخصه ومحاولة تبريرهم لكل أفعاله صل الله عليه وآله وسلم بأنها أفعال نابعة من أغراض دنيوية وشهوانية بحته إلا إننا لا ننكر الدور المميز للبعض منهم والذين دافعوا عن الرسول محمد صلى الله عليه والة وسلم وفي مقدمتهم الدكتور مايكل هارت صاحب كتاب: «المائة الأوائل» الذي يشدنا إلى أن نقف معه عند نظرته العلمية، التي وضعها لتصنيف عظماء التاريخ، ضمن سلم ترتيبي، اختاره حسب مقاييس منطقية يمليها أولاً وأخيراً، أثر هذه الشخصية في التاريخ في مرحلتها، وفي تكوين اتجاهات المراحل التالية وديمومة هذا الأثر وكان منطلقه هذا نابع من ثلاث نقاط:

الأهمية الأولى للأشخاص الذين أثروا في التاريخ تأثيراً دائما سواء في ذلك الشخصية المشهورة أو المغمورة أو الشريرة،المتواضعة أو المغرورة.

الاعتماد في تصنيفه السابق على الشخصيات التي أثرت على الصعيد العالمي وعدم الأخذ بالشخصيات التي أثرت على الصعيد المحلي.

وفي تقرير مكانة الشخص، أخذ الباحث بعين الاعتبار أهمية الحركة التاريخية التي أسهم بها، رغم إدراكه أن ضرورة حركة التطور التاريخية ليست ناجمة عن عمل أفراد[١٧].

وتبعاً لهذه المعايير العلمية التي وضعها هذا الباحث لأولئك المائة الذين اعتبر كلا منهم من الشخصيات الرائدة

حقاً في التاريخ، كان الرسول صل الله عليه واله وسلم على رأس السلم، وهكذا ليس بدعاً بالنسبة لنا نحن العرب المسلمين، أن نرى في صنيعه بادرة إنصاف عظيمة ونظرة علمية متجردة، من مفكر غربي، اضطر معها إلى تقديم التبرير والدفاع عن اختياره لأنه يقدم كتابه لأبناء جلدته من الغربيين.. فهو يقول في دراسته شخصية الرسول وأثره في التاريخ:«إن اختياري محمداً ليكون الأول في قائمة أهم رجال التاريخ ربما أدهش كثيراً من القراء إلى حد قد يثير بعض التساؤلات،ولكن في اعتقادي أن محمداً كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي نجح بشكل أسمى وأبرز في كلا المستويين الديني والدنيوي.لقد أسس محمد ونشر أحد أعظيم الأديان في العالم، وأصبح أحد الزعماء العالميين السياسيين العظام. ففي هذه الأيام وبعد مرور ثلاثة عشر قرناً تقريباً على وفاته،لا يزال تأثيره قوياً عارماً»[١٨].

وهاهو مونتجمري وات يخلص إلى القول: «كلما فكرنا في تاريخ محمد وتاريخ أوائل الإسلام، تملكنا الذهول أمام عظمة مثل هذا العمل. ولا شك أن الظروف كانت مواتية لمحمد فأتاحت له فرصاً للنجاح لم تتحها لسوى القليل من الرجال، غير أن الرجل كان على مستوى الظروف تماماً. فلو لم يكن نبياً ورجل دولة وإدارة ولو لم يضع ثقته بالله، ويقتنع بشكل ثابت بأن الله أرسله، لما كتب فصلاً مهماً في تاريخ الإنسانية. ولي أمل أن هذه الدراسة عن حياة محمد يمكنها أن تساعد على إثارة الاهتمام، من جديد، برجل هو أعظم رجال (أبناء آدم)»[١٩].

## المصادر


١ـ تاريخ الشعوب الاسلامية،نقله إلى العربية: نبيه فارس ومنير البعلبكي، ط٩، دار العلم للملايين، ١٩٨١، ص ٣٢ـ٣٣.

٢ـ الحاج، ساسي سالم، نقط الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية واثرها في الدراسات الاسلامية، دار المدار، بيروت، ٢٠٠٢، ج٢، ص١٠٦.

٣ـ وات،مونتجمري،محمد في المدينة، ترجمة: شعبان بركات،منشورات المكتبة العصرية،بيروت، ١٩٥٢، ص ٥٠١ـ٥٠٢.

٤ـ سليمان بن ابراهيم،ترجمة: دكتور عبد الحليم محمود، محمد عبد الحليم محمود، ط٣، دار المعارف، القاهرة، بلا.ت، ص ٢٣٨ ٢٣٩.

٥ـ سورة النساء، الآية:٣.

٦ـ العقاد، عباس محمود، عبقرية محمد،الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، بلا.ت، ص ١٠٤ـ١٠٦.

٧ـ العقاد، المصدر نفسه، ص ١٠٤.

٨ـ النسائي، احمد بن شعيب (ت:٢٠٣ هـ/٩١٥م)، فضائل القرآن الكريم، تحقيق: فاروق حمادة، ط٢، دار احياء العلوم، بيروت، ١٩٩٢، ج١، ص ٥٩.

٩ـ ادريس، جعفر شيخ،منهج مونتغمري واط في دراسة نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ضمن كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الاسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ج١، ١٩٨٥، ص٢١١.

١٠ـ Emile Dermengham، the life of mohammad،N.YDial press– 1930،pp14–29.

١١ـ نقلا عن: حمدان،نذير،الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في كتابات المستشرقين،بحث منشور في مجلة دعوة الحق،بلا.م، بلا.ت ، ص ٤٨.

١٢ـ تاريخ الشعوب الاسلامية، نقله إلى العربية: نبية امين فارس،منير البعلبكي، دار العلم للملايين،بيروت،بلا.ت،ص ٤٦ـ٤٧.

١٣ـ انظر: إجناس،العقيدة والشريعة في الإسلام: تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الديانة الإسلامية، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد يوسف وعبدالعزيز عبدالحق وعلي حسين عبدالقادر، دار الكاتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٦م، ص٥ ٦.

١٤ـ حمدان،الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في كتابات المستشرقين،ص١١٧ـ١١٨.

١٥ـ سورة الاسراء،الآية:١.

١٦ـ الآية:١ـ١٨

١٧ـ هارت، مايكل، الخالدون مائة اعظمهم محمد رسول الله صلى الله عليه واله وسلم، ترجمة: انيس منصور، المكتب المصري الحديث، القاهرة، بلا.ت، ص ٩ـ١٠.

١٨ـ هارت،المصدر نفسه، ص: ١٣ـ١٩.

١٩ـ مونتغمري،محمد في المدينة، ص ٥١٢.

# المنهج الذي أعاد إلى النص الديني تفسيره الشرعي

# التداولية (Pragmatics)

بقلم : موفق الهاشم

**غزت المناهج الغربية اللسانية في الأزمان المتأخرة ساحات العمل اللغوي في بلداننا وأقاليمنا العربية والإسلامية، ووجدنا كثيرًا مَن عَملَ على تقمصها واستجلابها ومن ثم تطبيقها على المنتج اللساني العربي، حتى وصل بهم الإجراء الى النصوص العربية التراثية ذات المنحى الديني المقدس! وهم جنحوا الى ذلك إما إعجابًا وثقة بالمنتج الغربي، أو شعورًا بعقدة النقص والدونية قياسًا مع تلك الحضارة المتقدمة! على أن لا ننفي أن هنالك فئة أرادت الإفادة من تجارب الآخرين المتفوقة ثقافيًا وسياسيًا واقتصاديًا وصناعيًا واجتماعيًا ولسانيًا وأدبيًا.. ولهؤلاء الحق في ذلك، شريطة اتباع سياقات موضوعية لا مجال للخوض فيها.**

ولا يخفى على المطلعين مدى الخطورة الكامنة وراء اجترار تلك المناهج وتطبيقها على النص الديني بجانبيه القرآني والحديثي! متناسين خصوصية ذلك النص ومصدره، حتى اقتنعت شريحة كبيرة من الباحثين اللسانيين بسقم التطبيق الإجرائي للنُهُج الحداثية على النص الديني، فحصلت حالة من الاغتراب بين تلك المناهج والمدونات المقدسة، إلى أن ظهر على الساحة منهج أعاد الاعتبار إلى النص الديني وفق مقتضيات الشريعة، وأرجع له ما سُلب منه، إنه منهج التداول، الذي يمكن عدّه حتى الآن المنهج الأكثر ملاءمة لتناول النص الديني وفق مقتضيات العقيدة وقصدية المتكلم.

والتداوليّة كلفظ تُرجم عن المصطلح الانكليزي (**Pragmatics**)، والمصطلح الفرنسي (**Pragmaticque**)، وهذا المصطلح اقترن بمجال علمي جديد، وقد استعمل في القرن الخامس عشر الميلادي من كلمة (**Pragmaticus**) التي تعني باللغة اللاتينية (عملي)[1]. وفي ثقافتنا العربية ولغتنا لابد من التفرقة بين مصطلح التداوليّة والبراغماتية؛ لأنّ

١- ينظر: في تداولية الخطاب الأدبي (المبادئ والإجراء): ١٨.

التداوليّة تعني المذهب اللغوي التواصلي الجديد الذي يُعنى بالاستعمال اللغوي، الذي يقابله في اللغة الفرنسية مصطلح (**Pragmaticque**) وفي اللغة الانكليزية مصطلح (**Pragmatics**)، أما البراغماتية فيُقصد بها (الفلسفة النفعية الذرائعية)، التي يقابلها مصطلح (**Pragmatisme**) **الفرنسي، لذلك** أخطأ بعض الباحثين العرب عندما ترجموا **المصطلحين** (**Pragmaticque**) و(**Pragmatics**) بالذرائعية[٢]، فالذرائعية مذهب «فلسفي تجريبي عملي، تجاوز المذهب العقلاني، وطوّر الاتجاه التجريبي، وهي لا تقوم على معانٍ عقلية ثابتة أو تصورات قبلية، بل ترتبط بالواقع التجريبي، كما تحاول أن تفسّر الفكرة ليس بمقتضياتها العقلية أو الحسية، بل بتتبع واقتفاء أثر نتائجها العملية، ويقابلها مصطلح (**Pragmatisme**)»[٣].

**هناك نصوص صدرت في ظروف صعبة بالنسبة لمتكلميها حتمت على أصحابها اقتفاء استراتيجية التشفير**

تُعنى التداوليّة بدراسة استعمال اللغة في بُعدها الاجتماعي، ووظيفة القول اللغوي في أثناء التواصل، لذلك فهي كما يقول فرانسيس جاك: «تتطرق التداوليّة إلى اللغة كظاهرة خطابية، وتواصلية واجتماعية معاً»[٤]، وإذا كانت الدراسات التي سبقت التداوليّة قد قسمت اللغة إلى لغة وكلام أو لسان وكلام واهتمت بدراسة اللغة العامة الجمعية، وأهملت الكلام الفردي وأقصته؛ لصعوبة التحكم في آلياته، فإن التداوليّة عرّجت باهتمامها على دراسة الكلام الفردي أو الاستعمال اللغوي، إلّا أنّ «عملية توجيه التحليل نحو الكلام ليس مجرد دراسة لـ (الكلام) بالمصطلح السويسري، ولكنها في الحقيقة دراسة اللغة في كليتها بما فيها الكلام»[٥]. وهي ـ التداوليّة ـ تمثل حلقة وصل بين حقول معرفية متعددة، أهمها[٦]: الفلسفة التحليلية، وعلم النفس المعرفي، وعلوم التواصل، واللسانيات، وهذا التداخل معها أدى إلى اختلاف في تسميتها، ولاسيما عندما ترجمت إلى العربية، منها[٧]: البراغماتية، السياقية، المقامية، علم المقاصد، والتداوليّة. وأشهر تسمية مترجمة هي (التداوليّة) التي وضعها طه عبد الرحمن، إذ أكّد أنّه أنسب المصطلحات

٢ـ ينظر: التداولية عند العلماء العرب: ١٥. (الهامش).
٣ ـ المرجعية اللغوية في النظرية التداولية (بحث)، مجلة دراسات أدبية، العدد الأول: ١٠، ١١.
٤ ـ المقاربة التداولية: ١٣.
٥ ـ التداولية من أوستن إلى غوفمان: ٥٥ ـ ٥٦.
٦ ـ ينظر: التداولية عند العلماء العرب: ١٦.
٧ ـ ينظر: المرجعية اللغوية في النظرية التداولية (بحث): ١٠.

وأكثرها ملاءمة؛ لدلالته على الاستعمال والتفاعل معًا[٨].

وقد تباين الباحثون في حدود التداوليّة، واختلفوا في مجالها الدراسي وميدانها البحثي، فمثلا رأى فرومكين رومان أنّ التداوليّة لا تخرج عن السياق ودائرته، فقال عنها: «الدراسة العامة لكيفية تأثير السياق في الطريقة التي تفسّر فيها الجمل»[٩]. في حين نجد أنّ جان سرفوني قد حدد مجال التداوليّة وقيده بالفعل اللغوي، فقال: «دراسة اللغة بما هي فعل»[١٠]. من جانب آخر نجد بعض الباحثين والكتاب المختصين بالتداوليّة قد وسّع دائرة الدرس التداولي، يتضح ذلك من تعريفاتهم التي ساقوها، فمثلا رأى كارناب (١٨٩١ ـ ١٩٧٠) أنّ التداوليّة: «حقل البحوث التي تأخذ في اعتبارها نشاط الانسان الذي يتكلم أو يسمع العلامة اللغوية وحالته أو محيطه»[١١]. ولو تبصرنا فيما قالته فرانسواز لوجدناها قد وسعت مفهوم التداوليّة، إذ انساقت وراء فرانسيس جاك الذي قال: «تتطرق التداوليّة إلى اللغة كظاهرة خطابية، وتواصلية واجتماعية معا»[١٢]. ورأت الجمعية التداوليّة العالمية أنّ التداوليّة نظرية الاستعمال والتكيّف اللغوي بلحاظ الأبعاد كلها[١٣]، متفقة مع المعجم اللساني الفرنسي الذي يرى أنّ التداوليّة تُعنى: «بمظاهر الاستعمال اللغوي، والحوافز النفسية للمتكلّم، وردود أفعال المخاطَب، والأنماط

٨ـ ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: ٢٨.
٩ـ المعنى وظلال المعنى: ١٣٧.
١٠ ـ الملفوظية: ٢٣.
١١ ـ المعنى وظلال المعنى: ١٣٧.
١٢ ـ المقاربة التداولية: ١٣.
١٣ ـ ينظر: التداولية البعد الثالث: ٣٧.

جعل (كارناب) التداولية منهجًا مساويًا للسيمياء الوصفية.

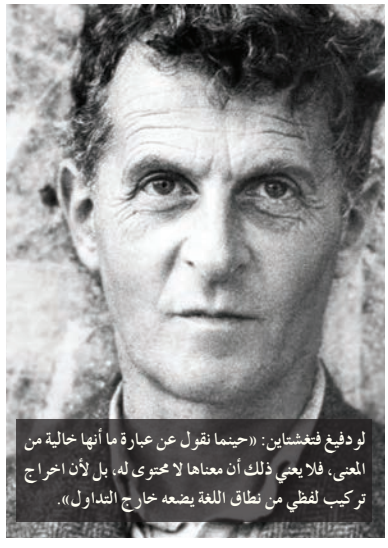
لودفيغ فتغنشتاين: «حينما نقول عن عبارة ما أنها خالية من المعنى، فلا يعني ذلك أن معناها لا محتوى له، بل لأن اخراج تركيب لفظي من نطاق اللغة يضعه خارج التداول».

طه عبدالرحمن أفضل من ترجم المصطلح للعربية وأعاد صياغته بشكلٍ متوازن.

الاجتماعية، وموضوع الخطاب، في مقابل المظاهر التركيبية، والمظاهر الدلالية»[١٤]. إذن التداوليّة تجاذبها اتجاهان: اتجاه ضيّق محدود، وآخر واسع ممدود، وأجدني أميل إلى الاتجاه الثاني الذي بمقتضاه تمثل التداوليّة حلقة وصل مهمة بين عدة حقول معرفية، أهمها: اللسانيات، والفلسفة التحليلية، وعلم المنطق، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم التواصل أو الاتصال، وهي تهتم بدراسة اللغة ضمن الاستعمال، مع الأخذ بالحسبان المتكلّم وما يقصده، وإنجازه اللغوي، والمخاطَب وما يناسبه من خطاب، والخطاب والظروف التي تحيط به، زمانية كانت أم مكانية. ملخص القول: التداوليّة حولت الدراسة من لسانيات الجملة إلى لسانيات الخطاب، وهذا لا يعني تجاوز التداوليّة للعناصر اللغوية المعجمية والنحوية التي هي من اهتمامات علم الدلالة ومباحثه، فكلاهما ـ الدلالة والتداوليّة ـ يتناول المعنى المستقى من المعجم والتركيب، إلّا أنّ علم الدلالة يُعنى بالمعنى قبل تحققه في السياق أو المقام التخاطبي، بينما التداوليّة تُعنى بالمعنى بعد أن يصبح قصداً خاضعاً لملابسات الكلام وظروفه.

فلو أخذنا قوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله ولا تفرّقوا﴾ آل عمران: ١٠٣. نلحظ أن القراءات اللسانية المؤسّسة على بنية النص عاجزة عن تفسير الآية؛ بسبب إشكالية التشرذم المذهبي، والتشظي الطائفي، والتنازع الذي وصل حد التكفير وسفك الدماء، على الرغم من كون الطوائف والمذاهب جميعا متمسكة

١٤ ـ تداولية الخطاب السياسي: ٥٠.

بالقرآن كتابا لها، ومصدرا لعقائدها وتشريعاتها العبادية والمعاملاتية!! فكل طائفة تدّعي أن ضمان وحدة المسلمين وعدم تفرقتهم إنما يتم عن طريق الاعتصام بكتاب الله الكريم، لكن الواقع خلاف ذلك بامتياز!! إذن فهم الآية الظاهري عاجز عن تقديم تفسير مقبول يدفع تلك الإشكالية، بينما الأخذ بالبعد التداولي للنص كفيل بتقديم تفسير مقبول يتوافق مع توجهات الشريعة الإسلامية، إذ إن «الاقتصار على الوحدة الكلامية دون الأخذ بالسياق كثيرا ما ينتج عنه خلاف في فهم الوحدة الكلامية»[١٥]، فلابد إذن من تناول النص بكافة قرائنه الداخلية والخارجية، ووضع كافة الملابسات بنظر الاعتبار، ويتضح أن دعوة النص القرآني هذه تشترط الأخذ بما أتى عن الرسول الأكرم(ص)، قال سبحانه: ﴿ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ الحشر:٧. وهنا تتضح الإحالة الخارجية عن المدونة القرآنية في قوله (ص): «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[١٦]، وهذا يبيّن لنا أن الثقلين وجهان لمضمون واحد، وكما قال الإمام السجاد(ع): «وحبل الله هو القرآن، والقرآن يهدي إلى الإمام»، وكقول الإمام الكاظم(ع): «علي بن أبي طالب حبل الله»، وقول الإمام الصادق(ع): «نحن حبل الله»، فحبل الله يشتمل على القرآن والنبي والأئمة المهديين،

**قدم المنهج التداولي تطبيقات ناجعة في تفسير بعض النصوص الدينية خاصة عند جنوحه للرمزية واللامباشرة**

وكل واحد منهم هادٍ لمن اعتُصم بهم، وموصِل إلى الحق[١٧]. فجُعل الكتاب الكريم والعترة بمثابة حبل واحد لا حبلين، والحبل وإن كان يتكون من أفرع متضافرة يعضد بعضها بعضا، إلا أنها بعد أن اتحدت صارت كيانا جديدا، ينظر إليه بلحاظ الواحدية لا بلحاظ التعددية المتحدة، فكذلك حبل الله تعالى، الذي تكون بتضافر كل من القرآن والنبي(ص) والأئمة(ع)، إذن فالسياق هو الكفيل ببيان المراد والقصد والهدف، وسياق النص الديني يتم من خلال الرجوع إلى الآيات المباركة والأحاديث الشريفة ذات الصلة، وظروف انتاج النص الاجتماعية والسياسية والتاريخية؛ حتى يتسنى لنا الولوج إلى روح النص وماهيته، فمن دون الرجوع إلى السياق الداخلي والخارجي فإن النص وحده لا يوصل إلى القراءة الصحيحة.

وفي الآية (١٦) من سورة (ق) يقول تعالى: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾، وعن طريق التداولية نتخلص من إشكالية الفهم السطحي الظاهري، ونتجنب الوقوع في حرمة التجسيم، لأن إحدى آليات الخرق الحواري استثمرها القرآن في هذا النص، وهي خرق قاعدة الكيف، من خلال الكناية بالقرب «عن إحاطة العلم بالحال، لأن القرب يستلزم الاطلاع، وليس هو قربا بالمكان بقرينة المشاهدة»[١٨]، فقد حوى النص على قصد مضمر وراء عملية خرق قاعدة الكيف، عبر توظيفه تعالى لفظ (القرب) مُكنّيا به عن إحاطة العلم بالحال، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يُقبل تفسير معنى (القرب) وفق الدلالة الظاهرية الحرفية، بل يُصرف المعنى بقرينة عقلية عقائدية إلى معنى آخر مناسب، وهذه القرينة أودعها الله جل ذكره عقول عباده المتفكرين، الذين يعلمون بأنه سبحانه ليس بجسم يُرى ويحل بمكان يقرب أو يبتعد، فالكناية خرق كيفي يقدم للمتلقي علاقات واستدلالات عقلية وفكرية، من خلال علاقة التلازم المؤدية إلى تداعي المعاني، إذ إننا حين نستخدم المعنى الحرفي نريد المعنى المستلزم[١٩]، فالقرآن اختار أن يعبر عن المعاني الغيبية التي لا تدركها العقول بيسر وسهولة بألفاظ كنائية؛ لأنها أيسر

١٥ ـ مقدمة في نظريات الخطاب: ٢٥.
١٦ ـ صحيح الترمذي: رقم الحديث: ٣٧٨٨.
١٧ ـ ينظر: الأمثال والحكم المستخرجة من كلمات الإمام الرضا (ع): ٤٩٥ ـ ٤٩٦.
١٨ ـ التحرير والتنوير: ٢٦/ ٢٥٠.
١٩ ـ ينظر: البيان في ضوء أساليب القرآن: ٢٦٥.

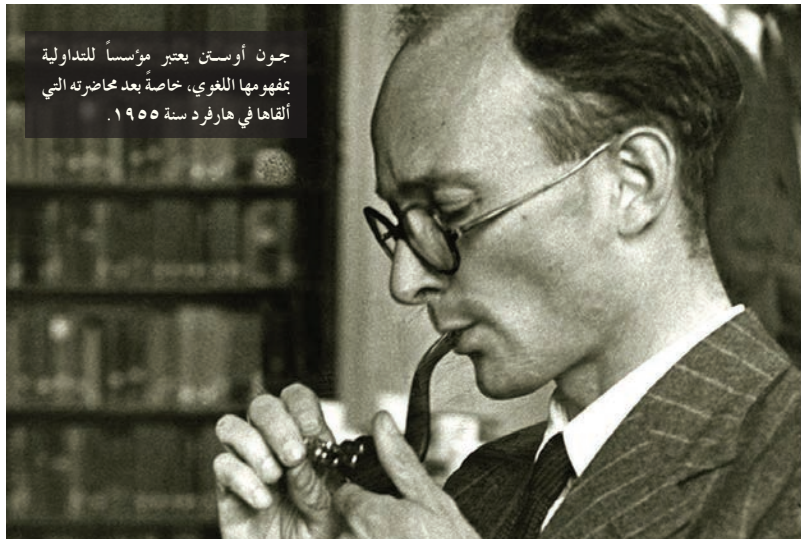
جون أوستن يعتبر مؤسساً للتداولية بمفهومها اللغوي، خاصةً بعد محاضرته التي ألقاها في هارفرد سنة ١٩٥٥.

في توصيل المعاني إلى المتلقي، فالكناية تجعل من الغائب مُشاهدا وحاضرا، ومن ثم يحصل المرجو في الإقناع.

أما قوله تعالى: ﴿وآتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله..﴾ البقرة: ١٨٩. فالآية تأمر بدخول البيوت من الأبواب!! لكن هل ههنا من شيء جديد يأمر به الله تعالى؟! فهل يأمر بشيء الكل ـ كل البشر مؤمنهم وكافرهم ـ يقومون به! أيوجد في عالمنا ومجتمعاتنا من يدخل البيت من الشباك مثلا؟! وهل يأمر القرآن بما هو تحصيل حاصل للجميع من بني البشر؟! فأي بلاغة تلك لكتاب تحدى بلغاء العرب أن يأتوا بمثله يخاطبهم بمثل هذا المنطق؟! ولأجل تبرأة النص القرآني من تهمة السذاجة واللغو ـ التي يجتهد المنحرفون على إلصاقها به بكل ما أوتوا من قوة ـ لا بد من الوقوف على سياقات النص، ومقامات خطابه وأحوال المخاطبين، وظروف القول وما يحيط به من ملابسات وقرائن. وتفسير هذا النص الكريم بغير منهج اللسان التداولي لا يعطي النتائج المنطقية المرجوة، فمثلا لو تناولناه وفق المنهج البنيوي فإننا سنصل إلى نتائج يُسعَد بها المتعصبون ضد الدين، وبالتالي حصد مزيد من الاستهزاء والنقد والتوهين!! في حين أن إخضاع هذه الآية إلى التفسير التداولي سيعطي نتائج منطقية وشرعية معززة بقرائن شرعية أخرى، فالتداولية لا تكتفي بالمعنى المباشر، بل تستهدف معنى المعنى أو ما وراءه من مقاصد يبتغيها المتكلم، ففي هذا النص لابد من وجود قضية هامة خلف هذه الدعوة، فيها رمزية يريد القرآن الكريم إبلاغها بآلية تلميحية تضمن مرورها عبر الأزمان والأقاليم، وتحفظ للنص أيضا مكانته من أن تطأه يد التحريف والتلاعب، وفق إملاءات المصلحة الضيقة والعصبيات المنحرفة، ولاسيما إذا عرفنا بأن السلطة وأتباعها ضد التفسير الحقيقي للنص، بل عمل الحكام بما امتلكوه من سلطات وأموال على إنشاء لجان من العلماء في كافة الاختصاصات بترويج تفاسير تلائم مصالحهم وتدعم توجهاتهم، وفي المقابل فإن حفظ النص من التحريف الذي تكفل به الباري سبحانه بقوله: ﴿وإنا له لحافظون﴾ إنما يكون بالطرق الطبيعية، لا أن تأتي صاعقة من السماء على من يحاول التحريف! وبالتالي فكانت الرمزية والتشفير وسيلة طبيعية من وسائل التمرير الدلالي، التي تغيب عن الذين في قلوبهم مرض، فيأمن النص من التحريف، وبناء على ما مر فإن المقصود من هذه الآية هو الإشارة إلى الحديث النبوي القائل: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»[٢٠]، لأن الإمام علي وذريته عليهم السلام يمثلون الخط الذي أوصت به الشريعة أن يُتبع، فلهم الحاكمية بسلطتيها الدينية والسياسية، وهذا ما لم يرضَ به الحاكمون؛ فلا مبرر لهم حينئذ بالاستمرار بالتسلط على المقدرات، ولأجل ذلك اهتم الخطاب القرآني «بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية»[٢١].

بيد أن هنالك نصوصا صدرت في ظروف صعبة بالنسبة لمتكلميها، بما حتّمت على أصحابها اقتفاء استراتيجية التشفير والتلميح والإشارة، لدرء خطر السلطة وأتباعها، وهذا ما فعله الإمام الرضا(ع) مع كثير من كلماته، فمثلا قوله: «بِشرُوطِها وأنا مِنْ شرُوطِها»[٢٢]، نجد أنه ذكرها بعد أن ساق حديثا عن آبائه المعصومين(ع) عن جده الرسول الأكرم محمد(ص)، قال فيه: «سمعت أبي موسى بن جعفر يقول سمعت أبي جعفر بن محمد يقول سمعت أبي محمد بن علي يقول سمعت أبي علي بن الحسين يقول سمعت أبي الحسين بن علي يقول سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم

٢٠ ـ فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ٢/ ٢٨١.
٢١ ـ النص والسياق: ٢٧٣.
٢٢ ـ الأمثال والحكم المستخرجة من كلمات الإمام الرضا(ع): ٢٠٠.

السلام يقول سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول سمعت الله عزّ وجلّ يقول: لا إلـه إلّا الله حصني فمن دخل حصني أمن عذابي، قـال فلما مرّت الراحلـة نادانا: بشروطها وأنا من شروطها»[٢٣].

في هذه المقولة ضمـير المتكلم (أنا)، وهو لفـظ إشاري يحيل إلى خارج اللغة، ومن ثـم كان الاتكاء علـى اللغة وحدها لا يمكن أن يُفسّر الضمير، فقرائن القول وملابساتـه هـي الكاشفـة عـن ذلـك. فالضمـير (أنـا) يشير إلى شخص الإمام سـلام الله عليـه، أي إنه جعل مـن نفسه شرطـا مـن الشـروط الواجـب توافرها عنـد المؤمن حتـى يكـون في حصن الله المتمثـل بقـول: لا إلـه إلّا الله. وقصديـة الضمـير (أنـا) لا تتوقـف عنـد شخص الإمـام الرضا(ع) فحسب، بـل تتعداه إلى ما هـو أشمـل، فلفظـة (أنا) ما هـي إلّا جزء مـن كل! وهذا الـكل بالرجوع إلى السياق العقدي الـذي يتبنّاه الإمامية من المسلمـين يشير إلى الولاية التي قدرها الله جل وتعالى للأئمـة من آل محمد صلوات الله عليهم بعد نبـوة جدهم الخاتمة. فهذا الضمـير يحمـل في مكنونه بُعـدا عَقَدّيا عانى الإقصـاء والتهميش والتنحية منذ رحيل النبي الأكرم إلى جوار ربه، وكثيرا مـا كان يوجّـه إليه الأئمة مـن آباء الرضا وأبنائه، فهذا النبي الأكرم(ص) يقول: «أما بعـد. ألا أيها الناس! فإنمـا أنا بشر يوشك أن يأتـي رسول ربي فأجيـب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور. فخذوا بكتاب الله. واستمسكوا به [...] وأهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتـي. أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهـل بيتي»[٢٤]. والإمام باستعماله هذا الضمير يريد أن يذكّر الناس بالإمامة التي أُبعدت عـن وظيفتها المنوطة بها إلى يـوم القيامة، قال الشيـخ الصدوق: «من شروطها الإقرار للرضـا بأنه إمام من قبل الله عزّ وجل على العبـاد مفترض الطاعة عليهم»[٢٥].

ومـن جانب آخـر يمكن القـول: إن هـذا الضمير منح الحكمـة الرضوية بُعدا تلميحيـا، والتلميـح ـ كمـا قيـل ـ أبلـغ مـن التصريـح، إذ وُظّفـت الاستراتيجية التلميحيـة «التـي يعـبر بهـا المرسل عن القصـد بما يغاير معنى الخطـاب الحرفي لينجز بها أكثر مما يقوله، إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحـرفي لخطابه فيعبر عنه بغير مـا يقـف عند اللفـظ مستثمـرا في ذلك عناصر السياق»[٢٦]، ومن ثم جعل الإمام السامـع والمتلقـي يجول بذهنـه وفكره في المقصـود مـن الضمـير (أنـا)، أيعني ذاتـه فحسـب؟ أم أن هنـاك متعلقا يُفهم من قرائـن سياقية مقاميـة وبإعمال يسير للعقـل؟ فالإمام ترك التصريـح بالمقصود وهو (الإمامة)؛ لأنـه كان يدرك خطورة الموقف والمجازفة مـع السلطة وأتباعها، التي كانـت تعـدّ الدعـوة إلى إمامة أهل البيـت(ع) الخطر الأكبر علـى سلطانهم! في حـين أن استعمـال الضمـير (أنا) قد يـدرأ ذلك! فالإمـام بمقالته هذه جنح إلى التوريـة؛ لأن السامع المناهض للإمامة قد يتوهم قصدا لا تتحفظ عليه السلطة ومن شايعهـا، وذلك بالوضـع في الحسبان أن الإمام الرضا(ع) ولي عهد السلطة العباسية المتمثلة بالمأمون بن هارون، وبذلك يكون الإمـام الرضـا(ع) باستعماله لهذا الضمير (أنا) قـد عمد إلى استراتيجية خطابية غير مباشرة تجـاه المخاطـب اقتضتها ظروف السياسة آنـذاك، وفي الوقت نفسه يمكن القول: إن الإمـام سعى بالضمير (أنا) إلى ابـراز ذاته، ومنحها مزّيـة وتفضيلا على غيره ممـن قُدّم في الحكم والقضاء والإفتاء في الدولـة والحكومـة الإسلامية، وذلك استعمال تـداولي تحقـق بتوظيف ضمير التكلـم (أنا) في عملية الخطاب، الهادف إلى إعطاء الإمـام(ع) سلطته ومكانته التي سلبها الظالمون، وواضح هنا أن الإمام(ع) اهتم بقضية الملاءمة بين التعبيرات الرمزية والإيحائية والسياقات المرجعية.

من خلال هذه النمـاذج التي مضت يتضح لنا مدى نجاعـة المنهج التداولي في مقاربـة النص الدينـي، ومـدى اعتبارية مقتضيات الديـن العقدية والفقهية فضلا عن السياقـات التاريخيـة في تناول تلك النصوص، التي لا يمكـن أن تُفسَّر بمعزل عـن الظـروف والقرائـن والمسـارات والروابـط والقصديـات التـي استلزمت انتاجها، فأساليب القرآن الكريم ـ والعترة أيضـا ـ أساليب عربية بلسان عربي مبين، اُعتُمـد فيهـا علـى استعمـال الكنايات والاستعـارات والمجـازات والأساليـب البلاغية الأخرى، كمـا جُنح إلى الرمزية واللامباشرة في كثير من الآيات، مستثمرا آليات الاستلزام الحواري، وأفعال الكلام المباشرة وغير المباشرة، والافتراض المسبق، التـي تشـكّل بمعيـة الإشاريـات أركان التداوليـة التجميعيـة، التـي لا تبتعد عن آليـات التفسير النصـي المتكامل، المعتمد مـن قبـل علمـاء العربيـة وأعـلام الدين المحمدي الأصيل.

٢٣ ـ المصدر نفسه والصفحة.

٢٤ ـ صحيح مسلم: رقم الحديث: ٢٤٠٨.

٢٥ ـ عيون أخبار الرضا: ٢/ ١٣٤.

٢٦ ـ استراتيجيات الخطـاب مقاربة لغوية تداولية: ٣٧٠.

# التكافل الإجتماعي

بقلم : عبد علي الساعدي

كلما أضحت الشعوب أكثر مدنية اهتمت أكثر بثقافة التكافل الاجتماعي، ولعل آليته قد تختلف من شعب إلى آخر، ففي الوقت الحاضر توجد مؤسسات خاصة للتوعية على أهمية التكافل الاجتماعي، وهي التي تتبنى جمع التبرعات وتقديم المساعدات لمحتاجيها، فضلا عن النظم الحكومية التي تتبع هذه الطرق في كثير من دول العالم، وقد كان التكافل الاجتماعي يمارس بشكل عفوي خال من أي تكلف في جنوب العراق، وسنعرض هنا بعض تلكم الصور أو الأساليب.

## الحشر

إذا تعرضت قرية أو منطقة ما لفيضان فإن رجال تلك القرية أو المنطقة وما يحيطها يجتمعون ومعهم ما ينفع لإنشاء سد يحمي المنطقة المهددة بالفيضان، ويسمى هذا التجمع بـ(الحشر)، وقد ينعقد نفس هذا التجمع إذا أرادوا حفر أو تطهير نهر من الشوائب، أو حتى تغيير مساره، إلى غير ذلك من الأمور الخطرة.

## العوانة

عين الآلية السابقة، لكنها تختص بالأمور التي ليس فيها خطر عادة، مثل تهيئة الأرض للزراعة ونثر البذور، والحصاد، وبناء بيوت القصب، ولهم آلية لطيفة جدا في بناء بيوت القصب وإعلام الناس من أجل (العونة) ، وهي أن من يريد بناء بيت القصب، يهيئ من الصباح الباكر طعاما (للعوانة) وهم الرجال الذين يقومون بالبناء، ويتكون – الطعام– من وجبتين الأولى تسمى بـ(الجواعة) أو (الضحوية) وتقدم عند وقت الضحى، والثانية هي الغداء، أما دعوة (العوانة) للبناء فهي بأن يثبت (شبة) واحدة_وهي حزمة من القصب تكون منحنية من طرفها الأعلى الذي يكون رفيعا، فمن شاهد (الشبة) يترك كل أعماله ويتجه لمن ثبتها.

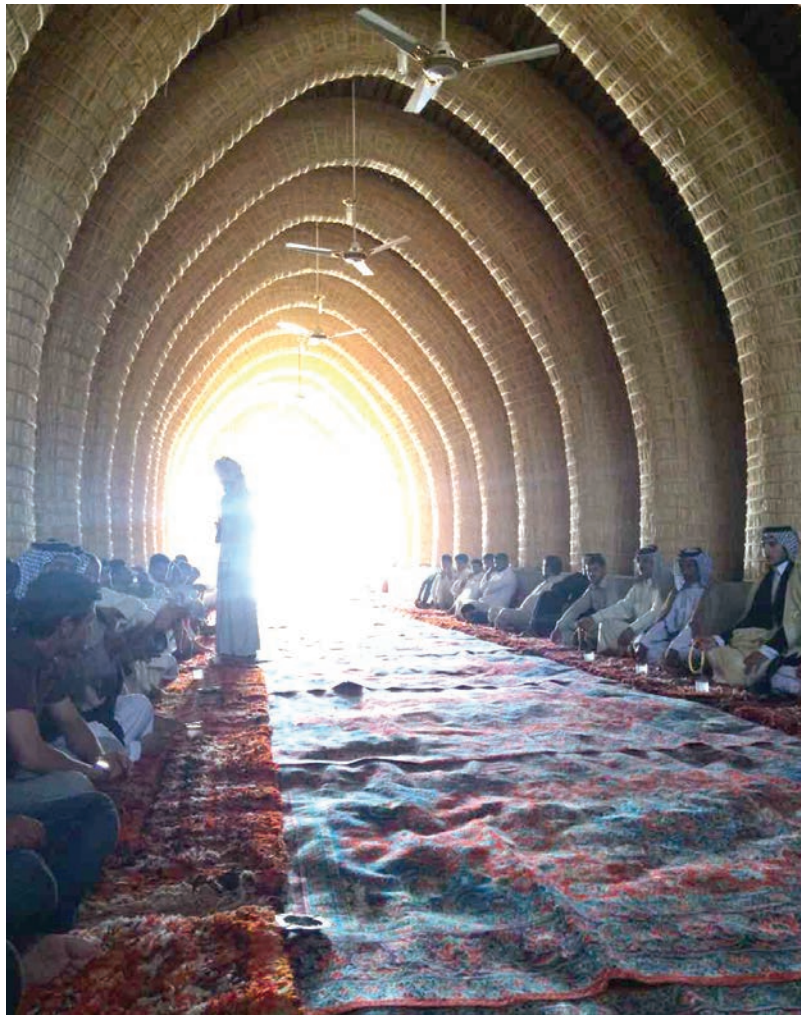

## الحريق

عندما يحترق بيت ما يركض كل الرجال، وهم يحملون أواني لنقل الماء ويباشرون الإطفاء، وبعد إخماد النار، يبدأ جمع ما تحتاجه العائلة المنكوبة، وكل متبرع يجود بما يقدر عليه، ولعل ما جمع من التبرعات يكون أكثر مما فقد، وهذه التبرعات ليست مختصة بمن تعرض بيته للحرق، بل كل من تعرض لكارثة طبيعية.

## الأعراس

إذا وجدت من يروم الزواج ولا يستطيع بسبب الفقر والفاقة فإن رجالات القرية، أو المنطقة يسعون لجمع التبرعات له، مع بناء بيت وهو عادة إما من القصب (صريفة أو بيت من الشباب) أو من الطين (جمالي) وهو بيت من الطين يشبه ما يسمى في زمننا بالجملون. وجميع ما تقدم ليس مختصا بالرجال فالنساء كذلك لهن الدور الذي يتلاءم مع طبيعة عملهن، وقد أدركنا في فترة التسعينيات من القرن العشرين، حيث كان الحصة التموينية الشهرية التي تعطيها الدولة للمواطنين، لا تسد حاجة العوائل لأيام قليلة، وقد انتشر الفقر بوقتها بصورة مخيفة، لكن انتعشت فكرة التكافل الاجتماعي، بحيث تزوج الكثير من الشباب عن طريق تجميع التبرعات لمن يروم الزواج، بل حتى العوائل المتعففة، كانت لها معونات شبه ثابتة توزع عليهم بسرية شديدة حفاظا على ماء وجوههم.

**كان من يريد أن يبني بيته فما عليه إلا أن يثبت حزمةً من القصب في الأرض فيهرع الناس إليه لمساعدته**

## الفواتح

مجالس العزاء أو ما يسمى عند أهل وسط وجنوب العراق بـ(الفواتح) جمع (فاتح) أي مكان قراءة سورة الفاتحة واهداء ثوابها لروح الميت، فالتكافل يبدأ من أول لحظة الوفاة، حيث يعلن أهل المتوفى عن موت فقيدهم، بصراخ النساء ويكون عفويا، وإن كان الميت رجلا فان أهله يطلقون بعض العيارات النارية في الهواء فيجتمع الناس للتجهيز الميت وتشيعه، ويتكفل أهل البيت الأقرب لبيت المتوفى بصنع وجبة طعام لأهل المتوفى، من ثم تقسم أيام العزاء (الفاتحة) على بيوت المنطقة، كل مجموعة تتكفل بيوم معين لتهيئة طعام العزاء لمن يحضر في (الفاتحة)، إلى أن تنتهي أيامها، وهي ليست محصورة بأيام معينة فأقلها ثلاثة أيام وأكثرها منوط بعدد المعزين في الأيام اللاحقة، وفي جنوب العراق تحديدا يدفع كل معزٍ ويسمى (قراي فاتحة) مبلغا من المال لأهل الميت ويسمى (قراية فاتحة)، أما النساء فالأقرب منهن لنساء الميت ـ نسبا أو سببا بصداقة أو غيرها ـ بعد أيام العزاء يأخذن هدية تسمى (بالجبرة).

مستشفى الكفيل التخصصي في كربلاء
Al-Kafeel Super Speciality Hospital in Karbala

العراق ـ كربلاء المقدسة
الطريق الدولي ـ البهادلية
Albahadeliah-Aldawil road-Holy Karrbala- Iraq
www.kh.iq 0760 2329 999
info@kh.iq 0760 2344 444
0773 0622 230
الهاتف الخاص للاستفسار حول التأمين الصحي
0760 2346 009
m.facebook.com/alkafeelhospital
alkafeel.hospital

# مستشفى الكفيل التخصصي.. التقنية أقرب مما تتصور..

# الوهابية في النجف الأشرف

بقلم: باسم الساعدي

تشرفت أرض النجف بضريح أمير المؤمنين صلوات الله عليه فصارت مهوى قلوب شيعته، وغرضا للطغاة وقطاع الطرق والنواصب والغلاة، وكل من أراد إطفاء نور الله تعالى، وقد ذكر لنا التاريخ الكثير من الحوادث والغارات التي عصفت بالنجف الأشرف، كان بعضها هدفه السلب والنهب وأخرى إزالة عاصمة التشيع من الوجود والقضاء على حوزتها، ومن تلكم الغارات ما قام به الوهابية منذ زمن إمامهم محمد بن عبد الوهاب، وسنذكر بحول الله في هذه العجالة خلاصة تلكم الهجمات.

كان العراق تحت الحكم التركي عندما ظهرت دعوة محمد بن عبد والوهاب ونجاحه بتأسيس الوهابية، ومع وجودهم كقوة يعتد بها ظهرت أطماعهم بمقاسمة العراق مع الأتراك، فقاموا بشن هجمات متتالية على جنوب ووسط العراق، غير أنهم لم ينتصروا لتصدي العشائر العراقية لهم مع بعض القطعات العسكرية النظامية، وقد ركزوا هجماتهم على كربلاء المقدسة والنجف الأشرف، وذلك لقربهما النسبي من موطنهم في نجد والقصيم ولوجود الخونة الذين يسهلون لهم الهجوم ويوفرون لهم الراحة بعد الهجمات، ولعلمهم بأن المدينتين المقدستين خالية من الثكنات العسكرية في أغلب الأحيان، وكذلك فالمجتمع في النجف الأشرف وكربلاء المقدسة مجتمع مدني مسالم ليس له رغبة بالقتال على خلاف المجتمع العشائري في باقي مناطق الفرات الأوسط والجنوب، وأهم عامل هو اعتماد قادة الوهابية على مخادعة أصحابهم حيث إنهم أوهموهم بأنهم يريدون إزالة آثار الشرك بتهديم المشاهد المشرفة.

## الهدف من الهجمات

المشهور أن محمد بن عبد الوهاب وشركائه من آل سعود همهم إزالة المراقد المقدسة لأنها أماكن لعبادة غير الله تعالى حسب عقيدتهم، واستطاعوا بهذه الحجة تجيش البدو، فالبدوي الذي لا يستطيع العيش من غير نهب وسلب صار مجاهداً تحت هذه الذريعة وأصبح ما ينهبه غنيمة أعطاها الله تعالى له لأنه بذل نفسه وماله في سبيله، هكذا خدع ابن عبد وهاب وشركائه أنصارهم، وهذا الرأي المعروف لكنه خلاف الواقع، حيث إن هدفهم الحقيقي هو أخذ غرب الفرات من الأتراك، وهو الذي صرح به ابن سعود لمبعوث والي بغداد له عبد العزيز بيك الشاوي الذي صار وهابيا في ما بعد، حيث قال له: «أما كفى الوزير أننا تاركوه يحكم بغداد؟! والله عن قريب ترى جميع غربي الفرات لنا وشرقه له»[1]، وذلك بعد معركتهم مع الخزاعل في النجف الأشرف.

## البداية

بعد انتصار الوهابية باحتلال الإحساء وغيرها من المناطق وتقتيل أهلها صاروا يقطعون الطريق على حجيج بيت الله الحرام، فكاتب شريف مكة السلطان التركي مستنجداً به، والأخير بعث أمراً لسليمان الكبير والي بغداد بتجهيز حملة عسكرية كبيرة لرد غائلة الوهابية، وجهزت الحملة وكانت بقيادة (ثويني) وهو شيخ المنتفق وسارت الحملة مع خمسة مدافع، وفي منطقة تسمى (عين الشيبك) هجم على (ثويني) عبد فطعنه بحربة في صدره وهو ـ العبد ـ يهتف (الله أكبر)، وبموته انهزمت الحملة، وصار السلاح والمتاع غنيمة للوهابية، وبعد هذه الهزيمة بأشهر قليلة، كثرت هجماتهم على مضارب وقرئ العشائر العراقية خصوصا ما فعلوه بقرية (أم العباس) وهي

١ـ لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ١: ١٨٨.

على مقربة من سوق الشيوخ، وعشائر شمر والظفير وآل بعيج والزراقيط، وغيرهم، فقد داهمهم وهم مجتمعون على عين ماء تعرف بـ(الابيض) تقع قرب السماوة، وقتل من المنطقتين عددا كبيرا من سكانها وغنم أنعامهم ومتاعهم، وبعد هذه الأحداث جهز سليمان باشا حملة أخرى بقيادة علي باشا وكان وقتها برتبة (الكهية) أي معاون الوالي، وكانت الحملة كبيرة جدا تضم خمسة آلاف انكشاري - وهم من جيش النخبة التركي - أضف إلى عشائر العبيد وعقيل والمنتفق وجشعم والظفير وغيرهم، مع الكثير من أهل الزبير مع المدافع الكثيرة، وقيل أنها تضم ثمانية عشر فرس وعشرة آلاف بعير، لكن فشلت بكسر أسوار قلعتي الهفوف والمبرز، وانكسرت معنويات الجند بعد انتشار الموت في جمالهم، وقد كاتب ابن سعود علي الكهية وعرض عليه الأمر بصراحة بالغة رغم أن رسالته تفتقر إلى الفصاحة العربية، وبين له أن قتاله مع الشيعة فقط، واعتذر عن مقتل (ثويني) شيخ المنتفق الذي هو سني، وبعد مفاوضات عادت الحملة إلى بغداد من غير ان تحقق أهدافها.

## رسالة ابن سعود للكهية

تظهر وثيقة تعتبر من أهم الوثائق أن الأتراك ما كانوا يرون أن جميع من في الأرض التي تحت سيطرتهم رعاياهم، بل يرون فقط أهل مذهبهم رعايا يجب حمايتهم، والوثيقة هي رسالة ابن سعود إلى الكهية قائد الحملة العسكرية التركية لرد غائلة الوهابية، وإليكم نصها مع ذكر ما يرفع الغموض عنها بين قوسين معقوفين: «من سعود العبد العزيز إلى علي، أما بعد: ما عرفنا سبب مجيئكم إلى الحسا [الإحساء]، وعلى أي منوال [سبب] جئتم، أما أهل الحسا فهم أرفاض [يعني روافض، يعني شيعة] ملاعين ونحن جعلناهم مسلمين [يعني وهابية]، وهي قرية الآن وليس داخلة في حكم الروم [يعني الأتراك]، وبعيدة عنكم و لم يحصل منها شيء يسوى عبكم [أي لن تحصلوا منها على شيء يستحق تعبكم]، ولو أن جميع أهل الحسا وما يليها تؤدي لكم دراهما ما تعادل مصروفاتكم التي عملتموها [أي صرفتموها] في هذا السفرة، ولا يوجد بيننا وبينكم من المضاغنة قبل ذلك إلا ثويني فهو المعتدي ولقي جزاءه، فالآن مأمولنا المصالحة فهي خير لنا ولكم، والصلح سيد الأحكام»، فهي صريحة بأن جميع جرائمهم لا تعد إلا مقتل ثويني فهو يستحق الاعتذار!!، وكانت الحملة وما تلاها من مفاوضات وصلح سنة ١٧٩٨ ميلادية وما بعدها[٢].

## مقتل شيخ الخزاعل

بعد الوفاق والمصالحة التي انعقدت بين الوهابية والاتراك صارت القوافل النجدية بحماية فرسان الوهابية تدخل العراق للبيع والشراء، وفي سنة ١٢١٤ وردت قافلة لبغداد فباعت ما عندها واشترت ما تريد وعادت على طريق النجف الأشرف، وعند الضريح العلوي شاهد الوهابيون أمير الخزاعل يقبل عتبة باب الضريح العلوي الشريف فهجموا عليه وقتلوه، وكان الأمير معه بعض رجاله فقاتلوا ثأرا لأميرهم، ودام القتال ثلاث ساعات حصيلتها مائة رجل وهابي بين جريح وقتيل ومثلهم من الخزاعل، وقد نهبت أموال القافلة وجمال خيل الوهابية[٣].

٢- لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ١: ١٨٥ وما بعدها.

٣- ماضي النجف وحاضرها ٥ ٣٢: ١.

## مراسلة الشيخ مع مؤسسي الوهابية

بات واضحا للشيخ جعفر كاشف الغطاء رضوان الله عليه - وهو زعيم الشيعة في وقتها والمرجع الأعلى - بأن الوهابية لن يتركوا النجف الأشرف حتى يستبيحوها كما فعلوا بغيرها من البلدان، فسعى لاستمالة محمد بن عبد الوهاب من ثم شريكه ابن سعود، وقد حقق الشيخ الكبير مبتغاه من مراسلة الأول عندما قاد حملة عسكرية وقصد النجف الأشرف كي يخضع أهلها لدعوته أو يقتلهم، واثناء نزوله مع جيشه في الرحبة عند محمود الرحباوي أرسل له مصحفا نفيسا وهو من هدايا ملوك العجم مع كتاب يطلب فيه الصلح والأمان، ويذكر له بأن النجفيين على دينه، ويطلب منه أن لا يدخل النجف الأشرف لأن أهلها خائفين منه، وصار ما أراده الشيخ كاشف الغطاء حيث أمر ابن عبد الوهاب رجاله بكف أذاهم عن النجف الأشرف، وانقطعت الهجمات الوهابية مدة حياة محمد بن عبد الوهاب، بل أن الشيخ كاشف الغطاء استطاع أن يقنع ابن عبد الوهاب بتنصيبه حاكما على النجف الأشرف وقد فعل وارسل كتابا للنجفيين يأمرهم به بإطاعة الشيخ لأنه وكيل عن محمد بن عبد الوهاب، ويقال: إن هذه المراسلات محفوظة عند عائلة محمد بن عبد الوهاب[٤]، وقد اتخذ خصوم الشيخ جعفر الكبير بعد مقتل محمود الرحباوي هذه المراسلات وسيلة للتشهير بالشيخ واتهامه بانه وهابي[٥].

أما مراسلته مع عبد العزيز بن سعود، فكانت عبارة عن كتاب علمي يفند فيه مزاعم الوهابية، وقد أسماه (منهج الرشاد لمن أراد السداد)، واعتمد فيه

٤- العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية: ١١٣.

٥- العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية: ١٣٢.

اسلوب اللين والاعتماد على رواياتهم من باب الالزام، وكذلك استخدم الشيخ التورية محاولا ايهام ابن سعود بان الشيخ سني حيث ادعى انه من طلبة مدرسة بغداد وهي مدرسة سنية كما هو معلوم، وسنذكر فقط ثلاثة مقاطع من الكتاب ليتبين اسلوب الشيخ كاشف الغطاء مع الخصوم في المحاورات: «وبعد: فقد ورد إلى المقصر مع ربه التائب إليه من ذنبه، الطالب من الله السداد، جعفر أقل طلبة بغداد كتاب كريم مشتمل على كلمات كالدر النظيم ممن لم يزل بالمعروف آمرا وعن المنكر ناهيا زاجرا، الآمر بعبادة المعبود، الشيخ عبد العزيز بن سعود» من ثم يذكر الشيخ بانه لو أراد الميل إلى سلطان من سلاطين الأرض لجاءته الدنيا طائعة، بل انه ـ أي الشيخ الكبير ـ التزم الزهد منعزلا في داره، من ثم قال مخاطبا ابن سعود: «فاقسم عليك بمن جعلك متبوعا بعد أن كنت تابعا، ومطاعا بعد أن كنت لغيرك مطيعا سامعا، واعزك بعدما كنت ذليلا، وكثر جمعك بعد ما كنت نزرا قليلا، أن تنظر ما رسمته سطرا سطرا، وتمعن في تحقيق ما رقمته نظرا وفكرا، متوحشا من الناس وقت النظر متحذرا من النفس الأمارة كل الحذر، طالبا من الله كشف الحقيقة، سالكا في المناظرة واضح الطريقة، فلعله يظهر أنه ليس بيننا نزاع»، من ثم يشرع الشيخ جعفر كاشف الغطاء بتفنيد مزاعم الوهابية واتهامهم المؤمنين بالشرك، وفي ختام الكتاب يخاطبه قائلا: «هدانا الله وإياك يا أخي لإدلال حقائق الأمور..»[٦].

## احداث كربلاء المقدسة

حاول الوهابيون استباحة النجف الأشرف وكربلاء المقدسة أكثر من مرة ولم يحققوا مبتغاهم بكل هجمة فقد كانت هجماتهم على النجف الأشرف

تقتصر على محاصرتها، وقطع رأس كل ما يجدونه خارج السور إنسانا كان أو حيوانا ويرمون برأسه إلى داخل السور لبث الرعب في قلوب أهلها، ربما دخل العشرة من الوهابية المدينة على حين غفلة من أهلها فينهبون ويقتلون، من ثم يعودون إلى معسكرهم وهو في الرحبة عند محمود الرحباوي[٧]، وفي سنة ١٢١٥ أرسل الوهابية سرية إلى العراق لهدم ضريح أمير المؤمنين صلوات الله عليه ونهب ما فيه من أموال، إلا أن عشائر البصرة قاتلتهم وألحقت بهم الهزيمة وقتلوا منهم مقتلا وغنموا منهم «ستمائة جمل وقيل ألف وستمائة جمل»[٨]، وفي سنة ١٢١٦ قصد ابن سعود النجف الأشرف فتحصن أهلها ووطنوا انفسهم على القتال حتى الموت فتركهم الوهابيون واتجهوا إلى كربلاء المقدسة[٩]، حيث استغلوا فراغ كربلاء من أهلها حيث إن عادتهم - وهي جارية إلى الآن - في يوم عيد الغدير ١٨ ذي الحجة أن يترك معظم الكربلائيين مدينتهم ويقصدون النجف الأشرف للزيارة وتهنئة أمير المؤمنين صلوات الله عليه في يوم تنصيبه خليفة للرسول الأعظم صلوات الله عليه وآله، وقد دخل الوهابيون كربلاء المقدسة في اليوم المذكور بجيش قوامه ألف مقاتل أو أكثر فقتلوا من الكربلائيين مقتلا عظيما اختلف المؤرخين بتحديده، وقد نهب بعد القتل ما في ضريح الإمام الحسين عليه صلوات الله من أموال ونفائس والكنوز، ودق القهوة في الضريح الحسيني وقد خربه وأحرق قبر حبيب بن مظاهر[١٠]، وقد كان جيش الأتراك بقيادة علي الكهية معسكرا في الدورة من بغداد و لم يتحرك إلى كربلاء المقدسة أو إلى النجف الأشرف، رغم أن الشيخ حمود الثامر ـ وهو شيخ المنتفق في وقته ـ أخبر الوالي في بغداد بأن جيشا من الوهابية قادم كي ينتقم لهزيمته التي مر ذكرها[١١].

## منطق شمر بن ذي الجوشن

المعروف في كتب المقاتل أن شمر بن ذي الجوشن لعنه الله كان يريد سحب أبي الفضل العباس من جيش أخيه الإمام الحسين صلوات الله عليه، وقد علل ذلك بأنه سلام الله عليه ابن اخت الشمر لأن أمه السيدة الجليلة أم البنين سلام الله عليها من عشيرة بني كلاب وهم بدو، وإلى

٦ـ العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية: ١١٨، و١٢٤.

٧ـ ماضي النجف وحاضرها١: ٣٢٤.

٨ـ ماضي النجف وحاضرها١: ٣٢٦.

٩ـ بعض المؤرخين يذكر ان الحصار المذكور صار بعد واقعة كربلاء، وهو المشهور لكنا اعتمدنا ما أثبته الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء.

١٠ـ تراث كربلاء: ٢٦٣، والعبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية: ١١٦.

١١ـ لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث١: ١٨٨.

الآن تجد البدو حتى من كان ناصبيا يمل إلى أبي الفضل عليه السلام ويحترمه، فقد حدثني أحد السادة أن أخاه كان مخطوفا عند عصابة من الارهابين وقد وادعوا السيد المخطوف عند عائلة بدوية في الصحراء الحدودية بين العراق السعودية، وكان أحد المودع عندهم المخطوف يغسل سيارته وفي مسجلها مرثية للعباس عليه السلام بصوت عال، وعند اعتراض الخاطف رد المودع عنده ما مضمونه بان كل شيء مباح له إلى المساس بمقام العباس سلام الله عليه، وهذا المنطق نفسه تجده عند عبد العزيز بن سعود فأنه أمر جنده قائلا: «خلّوا حرم العباس فانه ابن أختنا» ولم ينج من شره إلا من لاذ بالروضة العباسية الشريفة[١٢].

## الاستعداد للجهاد

بعد موت محمد بن عبد الوهاب رجعت هجمات اتباعه على العراق وخصوصا النجف الأشرف وكربلاء المقدسة كما اسلفنا، فاستعدت النجف الأشرف للموت ووطنت نفسها عليه، وأمر الشيخ جعفر الكبير بنقل خزينة الروضة العلوية إلى بغداد وإيداعها في الروضة الكاظمية وقد نقلها ابنه شيخ موسى بعد أن جردها واثبت ما فيها في دفتر وختمه، واعادوها بعد انجلاء شر الوهابيين[١٣]، وصار الشيخ الكبير يجمع السلاح، ويعبئ المجاهدين، فقد أغلقوا باب السور بالأحجار الكبيرة حيث كانت السور واهية محفرة، وجعلوا على كل باب بعض المجاهدين المسلحين، وأحاط الباقون بالسور من الداخل، وكان بين كل أربعين أو خمسين ذراع حجرة تسمى (قولة) وجعل في كل واحده منها بعض المجاهدين.

١٢ـ العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية: ١١٦.
١٣ـ العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية: ١١٣وأعيان الشيعة ١٠: ١٧٨.

**تصدى ٢٠٠ مقاتل نجفي من طلبة حوزة وحمالين وبنائين لجيش وهابي قوامه ١٥ ألف مقاتل**

## الاستشهاد

قد وطن مجموعة في النجف الأشرف انفسهم على الموت، وكانوا لا يزيدون على المائتين، لأن الباقي من أهالي النجف قصدوا العشائر فقد كانوا يرون أدلة حفظ النفس مقدمة على الدفاع، وكان ممن ثبت مع الشيخ الكبير من العلماء: الشيخ حسين نجف المتوفي ١٢٥١، والسيد جواد العاملي المتوفي ١٢٢٦، والشيخ خضر شلال المتوفي ١٢٥٥، والشيخ مهدي ملا كتاب المتوفي ما بعد ١٢٦٧ وغيرهم، ومما يؤكد أن العلماء ومن معهم قد هيئوا انفسهم للشهادة ما ذكر في استعدادات الشيخ كاشف الغطاء الخاصة فقد حفر سردابا في داره ينزل أربعين درجة تحت الأرض، وقد جعله بكيفية خاصة لا يهتدي إليه من علم تلك الكيفية وسلك فيه مرارا، وقد أخفى عياله وجعل معهم ما يكفيهم من الطعام مدة شهر كامل وقال لهم في وداعه: «إن هذا الملعون سيأتي النجف، فإن أظهرنا الله عليه فبها، وإلا فسيقتلنا ويدخل النجف فلا يرى شيئا بها مما يريد من مال ورجال فيتركها ويرتحل، وأما أنتم فاخرجوا بعد الشهر وكاتبوا الأطراف، ومن خرج فليعد، ولا تقصروا في السعي بتعميرها أبدا، ولا تخرجوا منها ولو بقيت خالية»[١٤].

## الحصار

في السنة ١٢٢١ في الليلة التاسعة من شهر صفر قبل الصبح بساعة هجم الوهابيون على النجف الأشرف، وتسور بعضهم السور، وقد ثبت العلماء والطلبة معهم الفقراء من الحطابين والحمالين والبنائين، ودارت معركة غير متكافئة، حيث كان الوهابيون خمسة عشر ألف أو يزيدون، وجميع من في النجف الأشرف أقل من المائتين كما اسلفنا[١٥]، واشتد الحصار حتى انقطع تموين البلدة بالطعام واقتصر شرب الماء على الأبار المالحة، «وقد صنف المجاهدون إلى أصناف، صنف يتقدم الجموع المهاجمة وهم حملة البنادق والذين يجيدون رمي الحجارة بالمقاليع، وصنف يتولى محافظة هؤلاء المهاجمين بنفس السلاح، وصنف يناط به حفظ أسوار المدينة وأبوابها وتسهيل عودة المهاجمين اذا ما اقتضى انهزامهم، وصنف عليه تموين المحاربين بالحجارة الصالحة[١٦]، ولم تكن البنادق يومذاك معروفة الا نادرا والحرب كانت حرب سيوف ورماح في الغالب، وكانت في النجف بندقية هي بين المدفع والبندقية وصفا، وكانوا قد نصبوها فوق نقطة معينة من السور وكانوا يحشونها بالبارود والخرق وكرات الحديد والحصى ثم يولعون الفتيل بطريق قدح الزناد فتقذف هذه البندقية بمقذوفاتها في مسافة ربما لا تتجاوز المائتي متر وتسبب سخرية الوهابيين وضحكهم أكثر مما تسبب

١٤ـ العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية: ١١٤.
١٥ـ تاريخ النجف وماضي النجف وحاضرها١: ٣٢٧.
١٦ـ من الجدير بالذكر أنه إلى الآن يسمى رمي الحجارة عند النجفين بالمحاربة.

خوفهم»[١٧]، وكان العلماء يدورون على المسالح أو نقاط القتال ويشجعون المقاتلين، حتى أن شيخ جعفر الكبير يخرج بنفسه ويقول للمجاهدين مشجعا: «أولادي حاموا عن أنفسكم ونسائكم وأهليكم وأموالكم وبلادكم، وقد بلغكم ما فعل في بلد كربلاء من القتل والفسق والنهب، وما فعل بقبر الحسين(ع)».

ثم إن الشيخ أمر النساء أن يخرجن من خدورهن ويشجعن الرجال على القتال والجهاد، فخرجن وهنّ لابسات الحلي والحلل وعليهن العطر كاشفات الوجوه، ناشرات الذوائب والشعور، وأما العجائز منهن يدرن مع البنات المذكورات على السور ويقفن على ملأ من الرجال ويقلن: أما تستحون، أتقبل غيرتكم على هذه البنات كأنهن الأقمار، النهد الأبكار بأن تستولي عليها هؤلاء الكفار الذين بدّلوا دين محمد المختار وجاءوا ببدع وزور»[١٨]، وكفى الله النجف شر الوهابية بأمير المؤمنين صلوات الله عليه وسنتعرض للتفاصيل في ما يأتي، ولم يستشهد من النجفيين إلا أقل من العشرة، كان منهم السيد علي بن السيد حسين نذكره لما في موقف أبيه من شجاعة وتسليم، فأن سيد حسين كان يدور على المجاهدين يشجعهم وكان في جولته يمر على أبنه سيد علي وكان مرابطا في البراق، وفي أحدها وجد أبنه شهيدا مخضبا بدمه فمده إلى القبلة وغطاه بقباء، وعاد يناجي على المجاهدين: «حاموا عن بلادكم، فقال له بعض من كان قريب من ذلك المكان: يا سيد حسين مالنا لم نسمع للسيد علي صوتا ولم يضرب معنا، وكان قبل ذلك لا يبطل دخان «تفكته» [أي بندقيته] قال لهم: إنه أخذه التعب فنام»[١٩].

١٧- موسوعة العتبات المقدسة٦: ٢٢٩.
١٨- تاريخ النجف: ٥١٠.
١٩- تاريخ النجف: ٥١١.

## كرامة أمير المؤمنين(ع)

قال السيد محمد جواد العاملي: «وفي السنة الحادية والعشرين في الليلة التاسعة من شهر صفر قبل الصبح بساعة هجم علينا في النجف الأشرف ونحن في غفلة حتّى أنّ بعض أصحابه صعدوا السور وكادوا يأخذون البلد فظهرت لأمير المؤمنين(ع) المعجزات الظاهرة والكرامات الباهرة فقُتل من جيشه كثير ورجع خائباً، وله الحمد على كلّ حال»[٢٠]، وهي إشارة لكرامة ليست بغريبة على أمير المؤمنين صلوات الله عليه تناقلتها الناس شفاها، وممن رواها من أهل العلم الشيخ مهدي بن عبد الصاحب دعيبل، والشيخ جواد الحكيم، ومن العلماء رواه عمن شاهدها: الشيخ محمد طه نجف، وهي: «فكانت النجف حينئذ في تمام الجهد والشدة والضيق ما بين مجاهد وباك ونادب ومستجير ومستغيث بأبي الغيث، فلم يزالوا كذلك وعلى ذلك إلى أن أغاثهم بغيثهم حتى أن بعضهم رآه عيانا يقظة لا مناما، وهو راكب على فرس أدهم وعليه قباء أخضر وعمامة خضراء وشاهدوه قد خرج من الروضة الشريفة، وأقبل على باب السور وعليه الجندل والصخور فانفتح بوجهه وخرج عليهم؛ فلما حل فيهم أرتفع منهم الهرج والمرج والصياح، فحينما سمع أهل النجف الضجة والغوغاء أشرفوا عليهم من أعلى السور لينظروا إلى ما حلّ بهم فإذا هم يرونهم كل واحد منهم يجيء إلى راحلته فيركبها ويفر على وجهه، وهو يقول: هذا لفظه: أبوهم خرج لهم علي؛ فلما أصبحوا فنظر أهل البلد فإذا هم لم يرو أحدا سوى القتلى والقتلى منهم على أضان، فبعضهم مقدود منه رأسه إلى دبره حتى ذكره، ومنهم منقسم من محزمه، وكفى الله أهل النجف شرّهم بأمير المؤمنين»[٢١].

٢٠- مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة١٧: ١٨٨.

## شرطة الحدود

قام الشيخ جعفر الكبير صاحب كتاب كشف الغطاء وهو كان زعيم الشيعة ومرجعهم الأعلى بعدة أمور احترازية لرد غائلة الوهابية، منها: انتخاب شباب من أهل الشجاعة وتسليحهم وكانوا أقل المائة، وجعل لهم رواتب شهرية، وامرهم بالمرابطة خارج النجف الأشرف من جميع جهاتها بمسافة بعيدة نسبيا، وكان منهم سواد العكايشي وعباس الحداد وهم المعروفون في ما بعد بالزقرت، ومعهم بعض الطلبة، وكانت مهمتهم إن جاء الهجوم حاولوا صده حتى يتحصن النجفيون ويستعدوا للقتال، وقد نجحت مهمتهم، حتى أنهم قتلوا بعض الغزاة الوهابيين وأسروا بعض أخر وارسلوهم للشيخ الكبير في غزوات متفرقة[٢٢]، ومنها: تهيئة الاسلحة الكافية حتى أن الشيخ مهدي الكاشف الغطاء المتوفى سنة ١٢٨٩ قبل وفاته بأيام أظهر لأخيه شيخ عباس المتوفى سنة ١٣١٥ مخزن أسلحة فيها عدد كبير من الاسلحة والذخيرة، وكانت توجد لامة حرب كاملة للطلبة وهي محفوظة في بيت الشيخ كاشف الغطاء فاذا تعرضت النجف الأشرف للخطر لبسها الطلبة وخرجوا للدفاع، وصارت عادة عند بيت الشيخ الكبير أن من يكون منهم رئيسا يشتري لامة حرب للطلبة ويجعلها في المكان المعهود وجرت هذه العادة حتى زمن شيخ محمد بن شيخ علي بن شيخ شيخ

٢١- تاريخ النجف: ٥١٠.
٢٢- العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية: ١٢٩.

جعفر الكبير المتوفي سنة ١٢٦٨[٢٣]، ومنها: ترميمه سور النجف الأشرف[٢٤].

## قطع الطريق على الزوار

وبعد ان تهيأ النجفيون والكربلائيون لم يستطع الوهابيون اجتياح المدن المقدسة رغم غزواتهم المتتالية، فكانوا يقطعون الطريق على الزوار ويسلبونهم ويقتلونهم، فمن تلكم الهجمات:

١- في جمادى الآخرة وكان عدد جنده عشرين ألف أو يزيدون.

٢- في ١٥ شعبان سنة ١٢٢٥ راح ضحيتها مائة وخمسون شهيدا أكثرهم من الايرانيين، وقد انحصر بعض الزوار في الحلة وصاموا فيه شهر رمضان، وبعضهم انتقل إلى الحسكة (الديوانية).

٣- في سنة ١٢٢٦ قتل في أطراف النجف الأشرف وكربلاء والحلة عدد غفير من الزوار واحرق الوهابيون الزرع[٢٥].

## مقتل الطاغية

لم تطل أيام عبد العزيز بن محمد بن سعود بعد جريمته في كربلاء المقدسة حتى بادر له بعض الشيعة متنكرا بزي درويش وقتله في شهر رجب ١٢٢٠[٢٦].

## الحوزة والدرس

كل هذه المصائب التي عصفت بمدينة النجف الأشرف وكربلاء المقدسة وباقي البلدان الشيعية لم تكن حائلا عن الاشتغال بالدرس والتحصيل العلمي، فقد ذكرنا كيف أن العلماء والطلبة يقاتلون مع باقي الناس، وقد عانوا من الحصار ما عاناه جميع المؤمنين، لكن التحصيل والاشتغال العلمي استمر في أغلب الأحيان، وإليكم نموذجا من علماء النجف وهو السيد محمد جواد الحسيني العاملي رضوان الله عليه الذي استمر بتصنيف كتابه (مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة) أيام الحصار والجهاد قال في خاتمة بعض أجزاء كتابه المذكور: «وقد من الله سبحانه بفضله وإحسانه وبركة محمد وآله صلى الله عليه وآله لإتمام هذا الجزء من كتاب مفتاح الكرامة بعد انتصاف الليل من الليلة التاسعة من شهر رمضان المبارك سنة ألف ومائتين وخمس وعشرين على يد مصنفه الأقل الأذل محمد الجواد الحسيني الحسني الموسوي العاملي عامله الله سبحانه وتعالى بلطفه وفضله ورحمته، وكان مع تشويش البال واختلال الحال، وقد أحاطت الأعراب من عنيزة القائلين بمقالة الوهابي الخارجي بالنجف الأشرف ومشهد الحسين عليه السلام» من ثم سرد ما ذكرناه في عنوان قطع طريق الزوار، ثم قال: «ونحن الآن كأنّا في حصار، والأعراب إلى الآن ما انصرفوا، وهم من الكوفة إلى مشهد الحسين عليه السلام بفرسخين أو أكثر على ما قيل، والخزاعل متخاذلون مختلفون، كما أن آل بعيج وآل جعشم يتقاتلون، كما أن والي بغداد جاءه وال آخر وأنه معزول وهما الآن يتقاتلان، وقد غمّت علينا أخبارهما لانقطاع الطرق، وبذلك طمعت عنزة في الإقامة في هذه الأطراف، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين، ورضي الله تبارك وتعالى عن علمائنا أجمعين وحشرهم (وجعلهم - خ ل) في أعلى جنان النعيم»[٢٧].

٢٣- العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية: ١٣٢.
٢٤- تاريخ النجف: ٤٢١.
٢٥- تاريخ النجف: ٥١٢.
٢٦- تاريخ نجد وملحقاته: ٦٦.
٢٧- مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة ٢١: ٤٠٩.

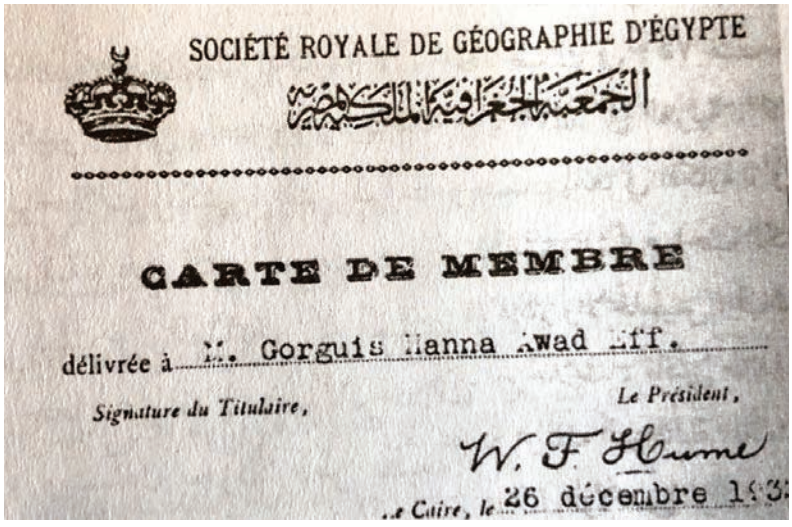
SOCIÉTÉ ROYALE DE GÉOGRAPHIE D'ÉGYPTE

الجمعية الجغرافية الملكية المصرية

CARTE DE MEMBRE

délivrée à M. Gorguis Hanna Awad Eff.

Signature du Titulaire, Le Président,

W. F. Hume

Le Caire, le 26 décembre 19

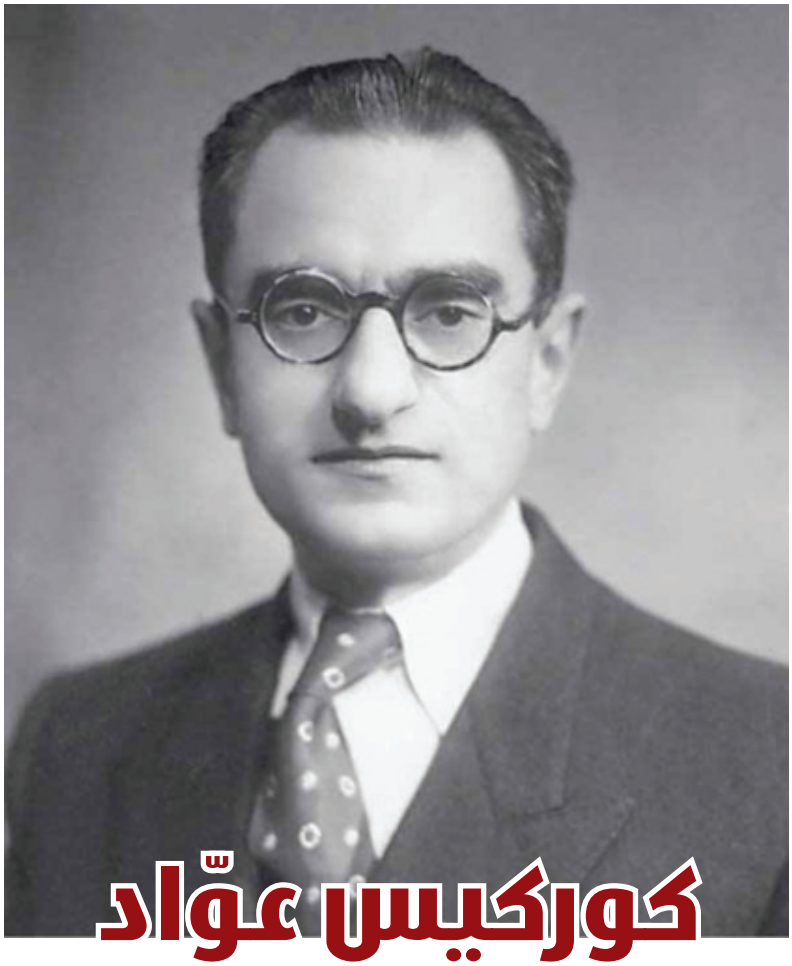

# كوركيس عوّاد

بقلم: سيلم الجبوري

برزت في العراق شخصيات علمية وفكرية وأدبية رائدة واسماء لامعة ونجوم ساطعة وكواكب مشرقة، كأنها الكوكب الدري، قامات شامخة في التراث والآثار، لا تعرف الكلل ولا الملل في الإسهامات والإنجازات، ولهذا العطاء سجل حافل في مسرح الفكر وإيقاع الإشعاع الحضاري، فقد شهد العراق في العهد الملكي ثورة علمية وطفرة نوعية من تلكم الشخصيات الفذة التي أسست دعائم الوطنية والتفاني في إشاعة الحوار والحراك الثقافي، ودعم المسيرة العلمية، وكلما فتحت ملف هؤلاء الأعلام أنحني إجلالاً لهم ولمواقفهم المشرقة، ومن أبرز هذه الشخصيات الرائدة والمهمة التي تركت بصماتها من خلال أعمالها الجبارة في الفهرسة والتوثيق والآثار والتراث هو الراحل والمؤرخ الكبير كوركيس عواد الذي أعطى جل حياته كاتباً وباحثاً ومنقباً ومفهرساً ومدوناً لمصادر الدراسة وهي أعمال فريدة من نوعها وفي غاية الأهمية والحرفية والموضوعية والموسوعية.

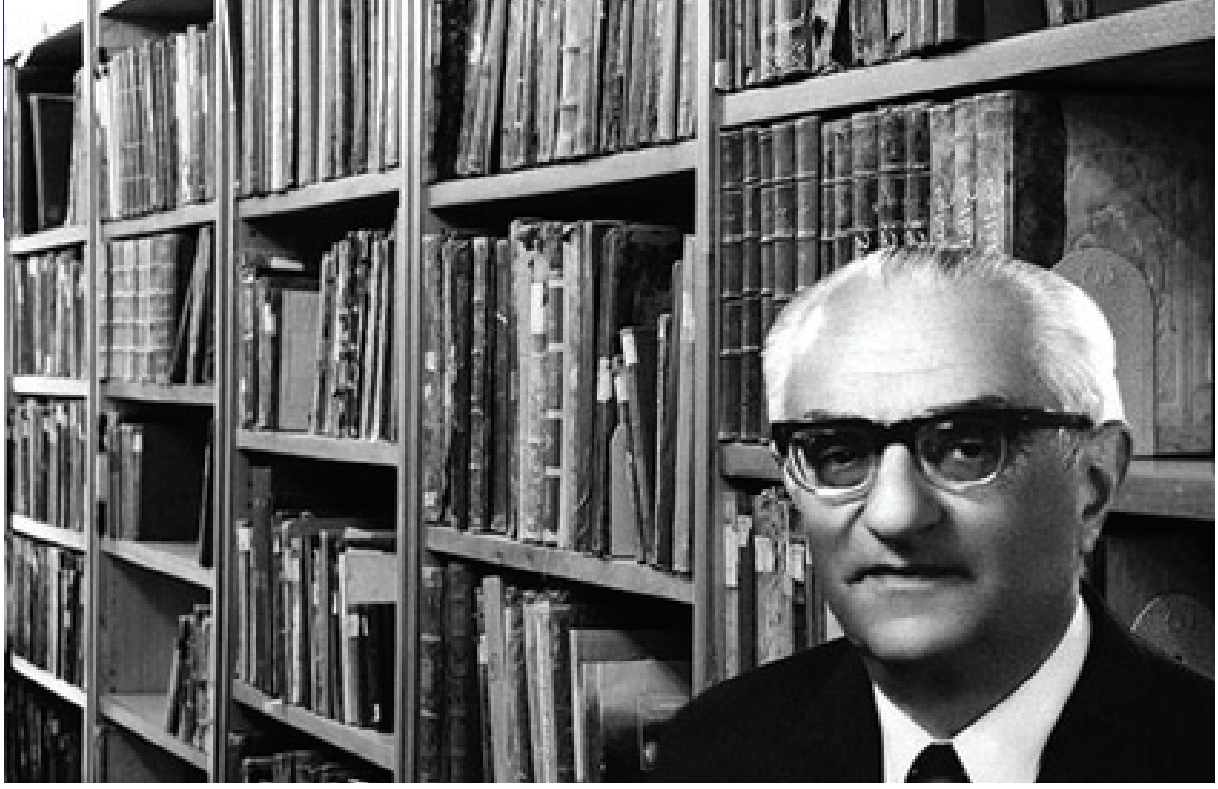

كوركيس عـواد لم يكن مدوناً وجامعاً لأسماء المؤلفين أو مشرفاً على المكتبات، بل كان شاهداً على فكرنا وتراثنا الأصيل.

كانت بحوثه ومقالاته تتصدر المجلات والصحف العراقية والعربية، ولولا اسمه الصريح الذي كان يدلل على انتمائه للطائفة المسيحية لظنه البعض بأنه مسلم من خلال دراساته التي تناولت تاريخ الحضارة الاسلامية والأوربية والمسيحية بشكل موضوعي بامتياز، ومـن يقرأ كتاباته المنتشرة في الصحف يلاحظ عليها الإنسان الحريص على تراث أمته، وكان شديد الحرص في تدوين الحقيقة، مبتعداً عن نهج الأحقـاد المتعمد للطوائف والمدارس الأخـرى، وجد كوركيس عواد في بعض الكتّاب الذين تلاحقهم العصبيات والأمراض المزمنة، لذلك كان كوركيس يعي هذه الأساليب و لم تأخذه لومة لائم ، فقد عاش طوال حياته عراقياً قلباً وقالباً، وهو شديد الاعتزاز بوطنه، مؤمناً بأفكاره، رافضاً إلغاء الآخر.

## مؤرخ مسيحي ومفهرس عراقي صنف أهم الذخائر والنفائس في تراث المسلمين

كوركيس عـواد الشمعة العراقية والفانوس الموصلي الـذي يضيء لنا الطريق الواضح لفهم حضارة وادي الرافدين.

وهو سلسلة من المعارف والثقافات المتنوعة، وكلما امتد إليه بصري وتأملت في طروحاته الـوقـادة، وجـدت فيه شمائل ابن النديم، والذي تأثر فيه كثيراً في صبره وهدوئه وتواصله مع جميع العلماء والأدبـاء، كان يفهرس الماضي والحاضر ويقف على مسافة واحدة، وهو دقيق جداً في تصرفاته وحركاته، لا يعرف اللف والـدوران والمخادعة والتدليس، وكوركيس ذلك الموصلي المتفتح والمنـفـتـح عـلـى حـضـارات الشعوب وتراثها.

كتب وصنف في شتى العلوم والمـعـارف، وكـان ذاكـرة العـراق في الفهرسة، ولديه خبرة ودراية وحرفية جبارة في المخطوطات والجـزازات، فيعرف جلودها وتواريخها ومنشأ صدورها، وهـذه العبقرية التي تمتع بها بعد تجربة طويلة، سافر إلى البلدان العربية والأوربية أتاحت له التعرف والإلمام الواسع في مجال العمل التوثيقي، أقام علاقات واسعة مع رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف، ومصر، ولبنان، وسوريا وصارت المؤسسات والجامعات تُخضع دراساته للبحث والمـداولـة لأنهم وجـدوا فيه الأديـب البارع والمـدون الماهر الـذي لا يترك شـاردة ولا واردة إلّا أحصاها في قصاصاته ومدوناته، ولقد حظيت مؤلفاته بإقبال واسع من قبل الباحثين والدارسين.

### إطلالة سريعة على حياته:

في يـوم ٩ تـشريـن الأول عـام ١٩٠٨م أبصر النور ذلك الفتى الذكي في لواء الموصل العريق برجاله ومناراته وكنائسه، نشأ وترعرع في ربوع مدينته التي امتازت برجالاتها وأعلامها وفي أجـواء مشتركة تعايش فيها المسلم والمسيحي في زقاق واحد:

**وعشنا وعاشت في الدهور بلادنا**

**جوامعنا في جنبهن الكنائس**

**وسوف يعيش الشعب في وحدة له**

**عمائمنا في جنبهن القلانس**

درس في بداياته الأولى عن المطارنة والكتاتيب، ولما اشتد عوده وجد فيه والده النبوغ والتألق أرسله إلى بغداد لإكمال دراسته في معهد المعلمين الذي تخرج منه عام ١٩٢٦م.

زاول التعليم في مدارس عديدة في بغداد والموصل وشمال العراق، فكان المربي الحقيقي وكانت وزارة المعارف العراقية تغدق عليه بالثناء لخدماته التربوية، ولشدة خلافاته المستمرة مع ساطع الحصري نقله من التعليم إلى الآثـار، وفي عام ١٩٣٦م عين أميناً لمكتبة المتحف العراقي وعندما تولى إدارة المكتبة كـان عـدد الكتب فيها (٨٠٤) مجلدات، وعندما أحيل إلى التقاعد عام ١٩٦٣م كانت محتويات مكتبة المتحف العراقي (٦٠،٠٠٠) مجلداً.

في خمسينيات الـقـرن الماضي خضع إلى دورات مكثفة في شيكاغو في علم المكتبات والفهرسة، وعندما تأسست في بغداد (الكلية الجامعة) التي

أصبحت فيما بعد (الجامعة المستنصرية) طالبه رئيسها أن يتولى إدارة مكتبتها والتي كانت خالية من أي كتاب، وخلال تسع سنوات من إدارته للمكتبة تجاوزت (٩٠،٠٠٠) مجلداً.

**عضوياته:**

عضو عامل في المجمع العلمي العراقي عام ١٩٦٣م.

عضو مؤازر في مجمع اللغة العربية في دمشق عام ١٩٤٨م.

عضو مؤازر في مجمع اللغة العربية الأردني عام ١٩٨٠م.

عضو مؤازر في المجمع العلمي الهندي في نيودلهي.

**مؤلفاته:**

**أولاً: المطبوع منها خلال خمسين عاماً (١٩٣٤ ـ ١٩٨٩) وفيها ما كان تأليفاً، أو تحقيقاً، أو ترجمة وقد رتبت بحسب التسلسل الزمني لنشرها:**

١ـ أثر قديم في العراق: دير الرّبان هرمزد بجوار الموصل.

٢ـ دليل خرائب بابل وبورسيبا. تأليف: يوليوس يوردان. ترجمة: كوركيس عواد.

٣ـ أقوال ابن خلدون والقلقشندي في النقود. حققها. وقد نشرت ضمن كتاب «النقود العربية وعلم النميات» للأب أنستاس ماري الكرملي. **(المطبعة العصرية، القاهرة ١٩٣٩، ص١١٢-١١٨).**

٤ـ ما سلم من تواريخ البلدان العراقية.

٥ـ العراق في القرن السابع عشر كما رآه الرحالة الفرنسي تافرنيه. نقله إلى العربية، بالاشتراك مع: بشير فرنسيس.

٦ـ المدرسة المستنصرية ببغداد.

٧ـ رسائل أحمد تيمور إلى الأب أنستاس ماري الكرملي. حققها بالاشتراك مع: ميخائيل عواد. **(مطبعة المعارف، بغداد ١٩٤٧، ١٦١ص).**

٨ـ الورق أو الكاغد، صناعته في العصور الإسلامية.

٩ـ خزائن الكتب القديمة في العراق منذ أقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة.

١٠ـ المخطوطات العربية في دور الكتب الأمريكية.

١١ـ الدّيارات: للشابشتي (علي بن محمد، المتوفى سنة٣٨٨هـ ـ ٩٩٨م). حققه على نسخة خطية فريدة في مكتبة برلين.

١٢ـ جولة في دور الكتب الأمريكية.

١٣ـ معرض كتاب ابن سينا (أقيم في بغداد، بمناسبة مهرجان ابن سينا).

١٤ـ ما طبع عن بلدان العراق باللغة العربية.

١٥ـ بلدان الخلافة الشرقية.

تأليف: كي لسترنج. نقله إلى العربية، بالاشتراك مع: بشير فرنسيس.

١٦ـ الدار المُعزيّة: من أشهر مباني بغداد في القرن الرابع للهجرة.

١٧ـ مكتبة الاسكندرية: تأسيسها وإحراقها.

١٨ـ مكتبة المتحف العراقي في ماضيها وحاضرها.

٢١ـ المخطوطات التاريخية في خزانة كتب المتحف العراقي ببغداد.

٢٢ـ الأسطرلاب وما ألف فيه من كتب ورسائل في العصور الإسلامية.

٢٣ـ فهرست مطبوعات مديرية الآثار العامة.

ألفه بالاشتراك مع السيد صادق الحسني. (بغداد١٩٥٧).

٢٤ـ المخطوطات الأدبية في مكتبة المتحف العراقي ببغداد. **(مطبعة الرابطة، بغداد١٩٥٨، ٨٣ص). مستل من مجلة «سومر» (١٤) [١٩٥٨] ص١٢٧-١٧٩).**

٢٥ـ مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة في مكتبة المتحف العراقي ببغداد.

٢٦ـ مدينة الموصل.

٢٧ـ فهرس المخطوطات الموجودة في مكتبة كلية الطب ـ جامعة بغداد.

٢٨ـ المكتبات العامة والخاصة في العراق.

٢٩ـ تحقيقات بلدانية ـ تاريخية أثرية في شرق الموصل.

٣٠ـ يعقوب بن إسحق الكندي: حياته وآثاره.

٣١ـ جمهرة المراجع البغدادية.

٣٢ـ مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية. تأليف: ظهير الدين الكازروني، المتوفى سنة ٦٩٧هـ =١٢٩٨م.

حققها بالاشتراك مع: ميخائيل عواد. مطبعة الإرشاد ـ بغداد ١٩٦٢، ٣٤ص.

٣٣ـ الآثار المخطوطة والمطبوعة في الفولكلور العراقي.

٣٤ـ طبقة من أعلام بغداد في القرن السابع للهجرة.

٣٥ـ فهرست المخطوطات العربية في خزانة قاسم محمد الرجب.

٣٦ـ المباحث اللغوية في مؤلفات العراقيين المحدثين. **(مطبعة العاني ـ بغداد ١٩٦٥، ١٥٠ص).**

٣٧ـ التفاحة في النحو. تأليف: أبي جعفر النحاس النحوي، ت. ٣٣٨هـ = ٩٥٠م.

٣٨ـ فهرست مخطوطات خزانة يعقوب سركيس ببغداد.

٣٩ـ فهرست المخطوطات العربية في خزانة قاسم محمد الرجب ببغداد.

٤٠ـ الأب أنستاس ماري الكرملي: حياته ومؤلفاته (١٨٦٦ ـ ١٩٤٧). **(مطبعة العاني ـ بغداد ١٩٦٦، ٣٠٤ص).**

٤١ـ الديارات، للشابشتي. **(الطبعة الثانية. مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٦٦، ٥٦ + ٥٢٠ ص).**

٤٢ـ رسالة في الأحجار الكريمة.

٤٣ـ تاريخ واسط.

٤٤ـ أصول أسماء المواضع العراقية. **(القاهرة ١٩٦٨، ١٨ ص).**

٤٥ـ مشاركة العراق في نشر التراث العربي.

٤٦ـ معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٨٠٠ ـ ١٩٦٩م.

٤٧ـ المراجع عن اليزيدية.

٤٨ـ فهرست المخطوطات العربية في خزانة قاسم محمد الرجب ببغداد.

٤٩ـ أبو تمام الطائي: حياته وشعره في المراجع العربية والأجنبية.

٥٠ـ مكتبة الجامعة المستنصرية في ماضيها وحاضرها.

٥١ـ الخليل بن أحمد الفراهيدي: حياته وآثاره في المراجع العربية والأجنبية.

٥٢ـ المُساعِد.

وهو معجمٌ لغوي. ألفه الأب أنستاس ماري الكرملي.

٥٣ـ تطور فهرسة المخطوطات في العراق.

٥٤ـ الرسائل المتبادلة بين الكرملي

وتيمور.
٥٥ـ مراجع الكتب والمكتبات في العراق.
٥٦ـ المطران أدي شير وبقايا مكتبة سعرد.
٥٧ـ المخطوطات العربية خارج الوطن العربي.
٥٨ـ المباحث السريانية في المجلات العربية.
٥٩ـ ديارات بغداد القديمة.
٦٠ـ التراث السرياني المنقول في العصور الحديثة إلى اللغة العربية.
٦١ـ أثر المرأة العراقية في إحياء التراث العربي.
٦٢ـ ألفاظ الحضارة.
٦٣ـ رائد الدراسات الأثرية في العراق: الأستاذ فؤاد سَفَر.
٦٤ـ مصادر الموسيقى العربية في كتاب «الفهرست» لابن النديم.
٦٥ـ الفنان العراقي حنا عواد وأثره في آلات الموسيقى الشرقية.
٦٦ـ سيبويه إمام المحاة في آثار الدارسين خلال اثني عشر قرناً.
٦٧ـ الطفولة والأطفال في (المصادر العربية القديمة والحديثة).
٦٨ـ رائد الدراسة عن المتنبي.
٦٩ـ مؤلفات ابن عساكر.
٧٠ـ مصادر التراث العسكري عند العرب.
٧١ـ أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم: المكتوبة منذ صدر الإسلام حتى سنة ٥٠٠هـ = ١١٠٦م.
٧٢ـ الديارات القائمة في العراق.
**(شركة التايمس للطبع والنشر ـ بغداد ١٩٨٢؛ ٤٧ ص). مستل من «مجلة المجمع العلمي العراقي: هيئة اللغة السريانية» (٦ [١٩٨٢] ص٩٣ ـ ١٣٩).**

٧٣ـ المراجع عن البحرين.
**(٢ [١٩٨٣]: المراجع العربية. ص ٢١٠ ـ ٢١١؛ [١٩٨٣]. المراجع الغربية. ص٢١٠ ـ ٢٣٩). مجموع صفحات هذا البحث ١٣٢ص).**
٧٤ـ فهارس المخطوطات العربية في العالم.

**ثانياً: مؤلفات كوركيس عواد المخطوطة:**

١. ذكريات ومشاهدات.
٢. معجم الرحلات العربية والمعربة. (مجلدات كبيرة).
٣. أدب الرسائل بين عالمي العراق: الآلوسي والكرملي. (تحقيق. بالاشتراك مع: ميخائيل عواد).
٤. النباتات الطبية في مؤلفات القدماء والمحدثين من العرب.
٥. مصادر الزراعة والنبات عند العرب.
٦. الطعام والشراب في الآثار العربية المخطوطة والمطبوعة.
٧. إحياء التراث العربي في العراق منذ ثورة السابع عشر من تموز ١٩٦٨ حتى نهاية ١٩٨٤.
٨. البلدان العراقية في مؤلفات القدماء والمحدثين.
٩. الأصول العربية للدراسات السريانية.
١٠. تكملة معجم المؤلفين العراقيين.
١١. بغداد في مؤلفات الجغرافيين العرب القدماء.
١٢. طلائع واد العراق من الإفرنج.
١٣. دير برعيتا في المصادر العربية.
١٤. المياه المعدنية النافعة في الموصل: حمام علي في المصادر القديمة.
١٥. الآثار العراقية بين الماضي والحاضر.
١٦. ابن خُرداذبه.
١٧. نصاب الاحتساب.
١٨. العداؤون والسُّعاة في العصور الإسلامية.
١٩. مناهضة أزياء النساء قديماً. **(«الرسالة» ١١ [١٩٤٢] ص٥٣٣ ـ ٥٣٤).**
٢٠. أقوياء الأبدان في العصور الإسلامية. **(«الرسالة» ١١ [١٩٤٢] ص٥٩٢ـ٥٩٣).**
٢١. الحِسْبَة في خزانة الكتب العربية.
٢٢. بلاد العراق في دائرة المعارف الإسلامية.
٢٣. واد العراق منذ أقدم الأزمنة.
٢٤. عثور الجدود على النقود.
٢٥. زيارة الكنائس القديمة في العراق عند السريان المشارقة آثار العراق في نظر الكتاب العرب الأقدمين.
٢٦. الزراعة والنبات عند العرب.
٢٧. الفلاحة النبطية [لابن وحشية].
٢٨. نخل العراق وتمره في المصادر العربية القديمة.
٢٩. بساتين الملوك والخلفاء في العصر العباسي.
٣٠. فهرست مؤلفات محيي الدين بن عربي (٥٦٠ ـ ٦٣٨هـ) بقلمه.
٣١. مدينة البصرة: مكتباتها ومخطوطاتها.
٣٢. من ذكرياتي في مكتبة المتحف العراقي.
٣٣. ذخائر التراث العربي في مكتبة چستربيتي.
٣٤. تطور المخطوطات في العراق من ألواح الطين إلى الميكروفلم.

# رواية الخيميائي

بقلم: عدنان الياسري

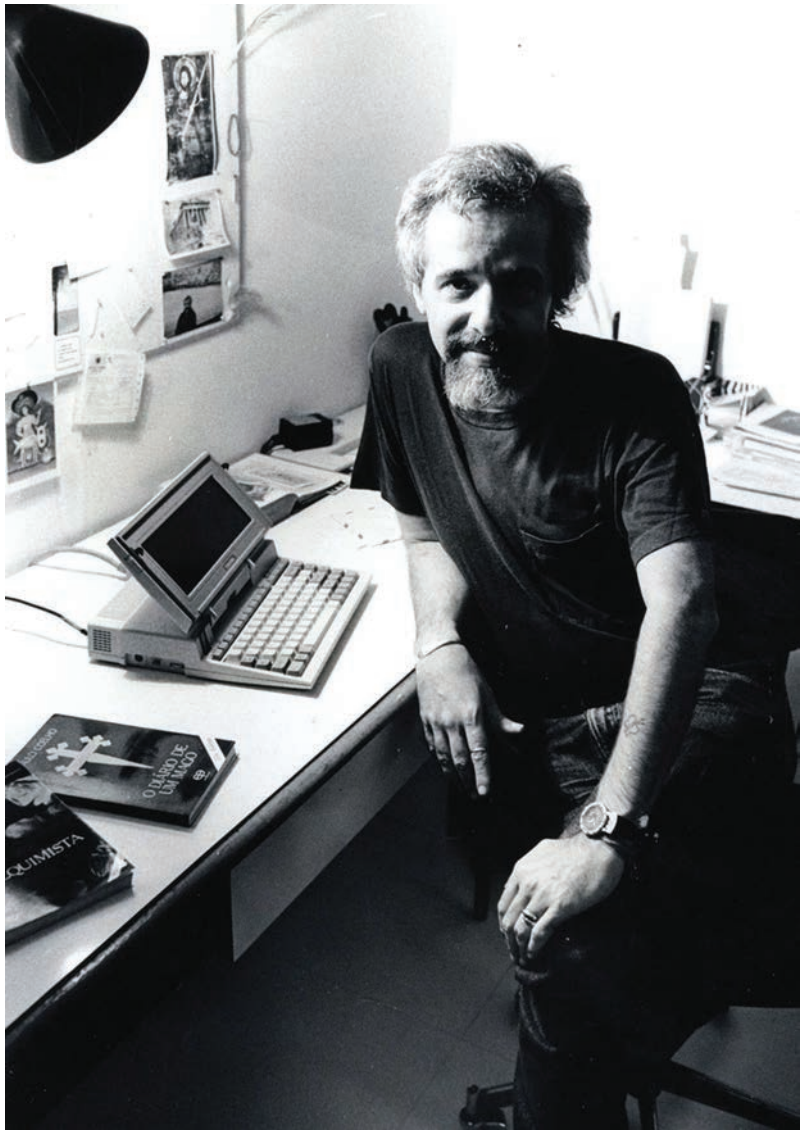

## المؤلف

هو: الروائي البرازيلي «باولو كويللو» في مدينة ريـودي جانيرو، كانت فترة طفولته ومراهقته مليئة بالمصاعب، إذ لم يلق تشجيعا من أهله لتحقيق حلمه في أن يغدو كاتبا، وقد عانى بعدها من تعاطي المخدرات والكحول، ولكنه تمكن من تجـاوز هـذه الأمـور، نجح كويللو على مدار حياته في تأليف العديد من الأعمال الأدبية المهمة مثل رواية «الخيميائي» التي تعد أشهر مؤلفاته، وأكثرها مبيعا.

## ولادته

ولد الكاتب البرازيلي الشهير باولو كويللو في ٢٤ آب من عام ١٩٤٧ في ريو دي جانيرو، البرازيل. تعلم كويللو في المدارس اليسوعية كما ترعرع على يد والديه الكاثوليكيين الورعين، راودت كويللو منذ نعومة أظفاره رغبة شديدة في أن يكون كاتبا، لكنه لم يتلق أي تشجيع من أهله، حيث لم يكن لهذا الأمر أي مستقبل في البرازيل.

## دخوله المصحة النفسية

دفعـت مراهقة كويللو المتمردة والديه ليقوما بإرساله إلى المستشفى النفسي ثـلاث مـرات، وكـانـت أول مرة يجري إرساله فيها إلى هناك عندما كان في السابعة عشر من العمر، وقال باولو كويللو في هذا الخصوص: «لقد سامحتهم. يحدث هذا الأمر عند الحب في كل الأوقات، عندما تمتلك مشاعر الحب الكبيرة تجاه شخص ما، لكنك ترغب بأن يتغير هذا الشخص، أن يكون مثلك، وعندها فقط يصبح الحب مدمرا».

خرج بعدها من مستشفى الأمراض النفسية ليلتحق بكلية الحقوق، لكنه

سرعان ما تركها ليشبع رغبته من حياة الهيبيين من جنس ومخدرات وموسيقى الروك، أحب حياة التمرد والحب للطبيعة حتى أنه كتب عددا من الأغاني لموسيقيين برازيليين يحتج من خلالها على الحكم العسكري للبلاد.

## نشاطه السياسي

قاده نشاطه السياسي المتمرد إلى السجن ثلاث مرات حيث خضع إلى التعذيب هناك أيضا.

نشر أول كتابه بعنوان «أرشيف الجحيم» في عام ١٩٨٢، لكنه لم يلق ذلك النجاح المطلوب.

## إنجازاته:

تنقل باولو كويللو بين العديد من المهن والأعمال، لكن نقطة التحول الكبيرة في حياته كانت أثناء زيارته إلى إسبانيا في عام ١٩٨٦ عندما كان في السادسة والثلاثين من العمر، مشى الكاتب البرازيلي في تلك الرحلة لأكثر من ٥٠٠ ميل على طول طريق «سانتياغو دي كومبوستيلا»، وهو موقع شهير للحج الكاثوليكي حفز هذا المسير الشاق صحوة دينية شعر بها كويللو في أعماقه طول طريق الرحلة، وكانت تلك الصحوة الدافع الأكبر لكتابة قصة «الحج»، كانت قصة ذاتيه يروي فيها الكاتب عن رحلته بلغته البرتغالية الأم ترك بعدها باولو كويللو أعماله ووظائفه الأخرى وكرس نفسه ليكون كاتبا محترفا.

أصدر باولو كويللو كتابا جديدا في عام ١٩٨٧، وكان عنوانه «الخيميائي» كتب هذا الكتاب باللغة البرتغالية واستغرق أمر كتابته أسبوعين فقط، تروي هذه الرواية المجازية والتي استخدم فيها الكثير من الاستعارات قصة صبي راع أندلسي قام برحلة صوفية تعلم من خلالها التحدث بـ«لغة العالم» وبذلك أصبح أهلا ليحظى برغبات قلب، حصل الكتاب في البداية على القليل من الانتباه فقط، وكان ذلك حتى ظهور النسخة الفرنسية المترجمة منه والتي تربعت على مقدمة قوائم أفضل الكتب مبيعا في فرنسا في بداية التسعينيات، لحق بهذه الترجمة الكثير من الترجمات إلى اللغات الأخرى لتصبح بعدها رواية « الخيميائي « ظاهرة عالمية مميزة كانت هذه الرواية مصدرا لإلهام عدد كبير من الناس حول العالم. واظب باولو كويللو على نشر كتاب كل سنتين منذ أن نشر رواية «الخيميائي» ويتبع طريقة غريبة في ترتيب وقته للكتابة، لكنها ومع غرابتها يستطيع أن يحصل من خلالها على نجاح مميز، ثم نشر باولو كويللو ٣٠ كتابا بيع منها أكثر من ٢١٠ مليون نسخة في أكثر من ١٧٠ بلدا حول العالم، وتُرجمت أعماله إلى أكثر من ٨١ لغة مختلفة، ويقوم كويللو بالتدوين في مدونته على شبكة الإنترنت ثلاث مرات في الأسبوع، ويمتلك ملايين المتابعين على فيسبوك وتويتر.

## الرواية

هي رواية رمزية، من تأليف الروائي البرتغالي الشهير «باولو كويللو»، تم نشرها لأول مرة في عام ١٩٨٨، والرواية من نوع أدب المغامرة والأدب الخيالي والدرامي، أدخلت في موسوعة غينيس للأرقام القياسية كأكثر الكتب المترجمة لمؤلفين مازالوا على قيد الحياة، حيث أنها ترجمت لأكثر من ٧٦ لغة عالمية من بينها العربية حيث تمت ترجمتها من قبل دار الهلال للنشرعام ١٩٩٦، حصلت الرواية على نسبة مبيعات عالية جدا حتى أنها اعتبرت من أكثر الكتب مبيعا في التاريخ، حيث تم بيع ٦٥ مليون نسخة منها لأكثر من ١٥٠ دولة في العالم.

### معنى الخيمياء

الخيميائي تعني باللغة البرتغالية **(O Alquimista)**، والخيمياء هي عبارة عن ممارسة قديمة ترتبط بعلوم الكيمياء والفيزياء والفلك والفن وعلم الرموز وعلم المعادن والطب والتحليل الفلسفي وعلى الرغم أن هذه العلوم لم تكن تمارس بطريقة علمية كما تعرف اليوم إلا أن الخيمياء تعتبر أصل الكيمياء الحديثة قبل تطوير مبدأ الأسلوب العلمي، تلجأ الخيمياء إلى الرؤية الوجدانية في تعليل الظواهر، وكثيرا ما لجأ الخيميائيون إلى تفسير الظواهر الطبيعية غير المعروفة لديهم على أنها ظواهر خارقة، وترتبط بالسحر وبما يسمى بعلم الصنعة، ويعرفها ابن خلدون بأنها علم ينظر في المادة التي يتم بها تكوين الذهب والفضة بالصناعة.

## موضوع الرواية

تدور أحداث الرواية في اسبانيا، حول راعي يدعى «سانتياغو»، حلم في يوم بأن هناك كنزًا مدفونًا في أهرامات مصر، وعند استيقاظه من النوم بات يشعر بأن هذا الحلم حقيقة حتى أنه يعرف مكان الكنز المدفون جيدا، فاصبح يحلم بأن يحقق حلمه في إيجاد الكنز، وفي يوم ما التقى بالملك سالم، الذي نصحه بأن يجري وراء حلمه لتحقيقه ويكرس نفسه له، فقرر سانتياغو تحقيق حلمه وبدأ بالفعل رحلته للبحث عن الكنز المفقود.

خلال رحلته مر بالكثير من الأحداث، من ضمنها أنه تمت سرقة نقوده التي حصل عليها من بيع قطيع الأغنام الذي كان يملكه، فاضطر إلى البحث عن عمل لمتابعة حلمه، فوجد وظيفة في متجر لبيع البلور والكريستال لتوفير بعض المال حتى يستطيع استكمال رحلته، وبالفعل عمل في المتجر وكان التاجر طيب الخلق ساعده وشجعه على تحقيق حلمه خاصة بعد شعوره بالاحباط وكاد أن يعود إلى بلاده إلا أنه بعزيمته وتشجيع التاجر له قرر عدم العودة واستكمال رحلته فانضم إلى إحدى القوافل ليعبر الصحراء وفي خلال طريقه عبر الصحراء اكتشف بأن للعالم روحًا وأنه جزء من هذه الروح وبالتالي عليه أن يعي تماما ما دوره في الحياة.

وعند وصول القافلة إلى واحة الفيوم، التقى سانتياغو بفتاة جميلة تدعى فاطمة، فأحبها وطلبها للزواج إلا أنها أبت أن تكون عائقا في تحقيق حلمه فشجعته وأخبرته بأن يستكمل رحلته للبحث عن الكنز المفقود وستنتظره إلى أن يعود بعد أن يكون قد حقق حلمه.

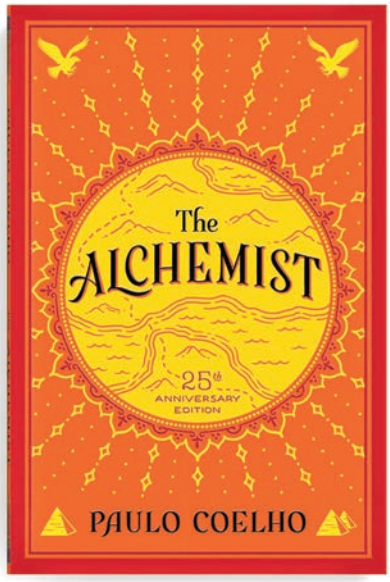


**مسيره ماشياً إلى حجٍ ديني في اسبانيا كان نقطة تحوله من متمرد ضائع الى كاتب تترجم كتبه إلى اكثر من ٧٠ لغة**

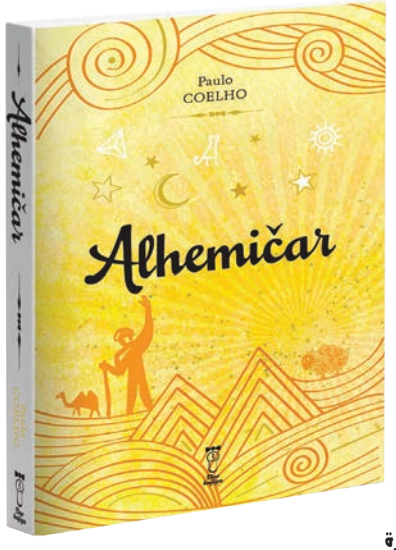


والتقى أيضا برجل إنجليزي غريب وغامض كان يطمح بأن يكون خيميائيا عظيما حيث كان يعمل في تحويل المعادن إلى فضلة وذهب ونحاس، وجاء إلى الواحة ليلتقي بالخيميائي الكبير ويتعلم منه، وكان لهذا الرجل تأثير كبير على سانتياغو وساعده في استكمال رحلته عبر الصحراء وكان طوال الطريق يعلمه الكثير من الدروس الحياتية وأعاره كتبه ليستفيد منها حتى أصبح حكيما.

وبعد الكثير من المغامرات والأحداث التي مرت بهما في الرحلة وصل أخيرا إلى أهرامات مصر وشعر بفرحة بالغة عند وصوله فبدأ بحفر الرمال بحثا عن الكنز المدفون إلا أنه تفاجأ بوجود عصابة لصوص ضربوه ضربا مبرحا وسرقوا كل ما يملك من مال واجبروه على الحفر إلا أنهم لم يجدوا الكنز فتركوه وذهبوا، وحينها عرف سانتياغو بأن الكنز الحقيقي ليس هنا وأن هذا ماهو إلا علامة للوصول إلى الكنز الحقيقي، فعاد إلى بلاده وذهب إلى الشجرة التي كان نائما تحت ظلها وحلم بالكنز فبدأ يحفر إلى أن وجد صندوق أثري مليء بالذهب والمجوهرات. فانتابه الفرح الشديد وعاد إلى الواحة ليتزوج من محبوبته فاطمة.

## فلسفة الرواية ودلالاتها

تعتبر الرواية ذات مضمون فلسفي، وهي رواية غزيرة بالحكم والعبارات ذات المغزى التي ترد على ألسنة شخصياتها، كما ارتبطت الرواية ارتباطا وثيقا بالفلسفة الوجودية لما تطرقت له من موضوع الهدف من وجود الإنسان، والأسئلة التي تراوده حوله نفسه وحول الكون، وضرورة السعي وراء ذاته وتحقيق أحلامه. وقد ركز الكاتب على كل من مصطلحات «روح الكون»

أو «لغة الكون»، وكذلك «الأسطورة الشخصية»، فلغة الكون لا يستطيع أن يفهمها إلا من ذاب فيها وفهم جوهرها، فهو يقدم الإشارات دائما، والتي تفتح للشخص أبواب المعرفة الواسعة. أما «الأسطورة الشخصية» فهي غاية وحلم كل شخص، وأسطورة ينبغي عليه أن يسعى وراءها، ويعمل على تحقيقها، وقد وردت على لسان ملك سالم عندما قال: «هي ما تمنيت دائما أن تفعله. كل منا يعرف في مستهل شبابه ما هي أسطورته الشخصية». ثم تنتهي الرواية في المكان الذي بدأت منه، ويبرهن الكاتب من خلال ذلك على أن ما نبحث عنه قد يكون موجودا بين أيدينا وأمام أعيننا طوال الوقت، وعلى الرغم من ذلك يجب أن نبحث عنه لأن رحلة البحث هي ما يساعدنا على تحقيق ذاتنا وأسطورتنا الشخصية، فسانتياغو حصل من خلال رحلته على محبوبته وتعلم الحكمة من الخيميائي، وفهم كذلك لغة الكون، قبل أن يعود لاستخراج كنزه...

تجري أحداث الرواية في العصور القديمة، حيث كانت الجمال ما تزال مستخدمة للتنقل عبر شمال أفريقيا، أما المكان فهو واضح أنه كان بين إسبانيا والبلدان العربية في شمال أفريقيا: بين المغرب ومصر حيث الأهرامات.

## اقتباس من الرواية

أسمه سانتياغو، كان النهار على وشك أن ينتهي عندما وصل، مع قطيعه إلى باحة كنيسة مهجورة، وقد كان السقف قد انهار من زمن بعيد،ونبتت شجرة جميز كبيرة مكان الغرفة الملحقة بالمذبح. قرر أن يقضي الليل في هذا المكان وأدخل كل نعاجه عبر الباب المنهدم. ووضع بعض الاخشاب على نحو يمنعها من الهرب اثناء الليل.لاتوجد ذئاب اثناء الليل ولكن نعجة هربت ذات مرة فاضطر إلى اضاعة نهار اليوم التالي بكامله بحثا عنها، بسط رادءه على الارض وتمدد مستخدما الكتاب الذي انهى قراءته وسادة. قبل ان يغفو فكر بأنه ينبغي أن يقرأ أكثر بعد الآن مؤلفات اكثر ضخامة. بذلك يقضي وقتا اطول قبل ان ينتهي منها وقد تغدو وسائد اكثر راحة للنوم. كان الظلام مازال مطبقا عندما استيقظ نظر إلى الاعلى وشاهد لمعان النجوم عبر السقف المنهدم جزئيا. قال في نفسه: كنت اود انام وقتًا أطول لقد راوده الحلم ذاته الذي راوده في الاسبوع السابق، واستيقظ من جديد قبل نهايته نهض... ثم أخذ عصاه وراح يوقظ النعاج التي لاتزال نائمة لاحظ أن ماشيته تفيق من النوم فور افاقته لكأنَ هناك طاقة غامضة توحد بين حياته وحياتها...

## من اقواله

- تصور أن الناس جميعهم يعملون على تحويل الرصاص ذهبا، الا يغدو الذهب بعد وقت قصير بلا أي قيمة! وحدهم ذوو النفوس المثابرة والباحثون العنيدون يستطيعون تحقيق الانجاز العظيم
- لنبحث عن الحب أولا، فكل شيء آخر سيأتي لاحقاً.
- مرات كثيرة يأخذني القطار الخطأ إلى المكان الصحيح.
- لا حياة تكتمل من دون لمسة جنون.
- إن أي مسعى يبدأ دائما بحظ المبتدئ وينتهي دائما باختبار المقتحم.

## قيل فيه

قال محبوا الكاتب باولو كويللو: إن مؤلفاته مُلهمة وقادرة على تغيير حياتهم.

**وقيل أيضًا:** عندما نقرأ فإننا نعيش حياة أناس آخرين، أن الرواية قبل أن تكون مجرد حروف وجُمل يوردها كاتبها فهي جزء من رؤيته - هو - وفلسفته في الحياة، وعبر رواية الخيميائي (لباولو كويلو) نبحر في عالم مليء بالحكمة التي تفلسف الأشياء وفق منظور جديد قديم، فالقديم في سطور هذه الرواية التزامها بكثرة الحبكات كالأساطير القديمة، والجديد فيها أنها تكشف لنا عمق الأشياء البسيطة من حولنا لتدفعنا لتأملها بشكل أعمق يساعدنا على فهم كنهها، والانسجام معها لأنها خلقت وخلقنا من أجل ذلك.

**رأي نقاده** لكن لنقاده رأيٌ آخر تماما، حيث يرفضون كتاباته على اعتبارها كلاما فارغا، يشجع فيه كويللو على روحانية زائفة وفارغة بعيدة عن الدقة والالتزام.

# لغز الكون الممتع

بقلم: حسن الجوادي

**منذ أن ولد هذا الكائن العجيب على سطح الارض وجد أن تشكله المعرفي ينطلق من بحثه وتجاربه وشكه وتوفقه وتأملـه وتفكره، وكان من اللازم عليه أن يؤمن بكل حركة وفكرة تظهر أمامه وتفسـرها طبيعة علاقته مع المحيط والرواسـب الذهنية والابداعية، وواصل الانسان رحلته المعرفيـة الجدلية عبر سنوات طويلة جداً، وصار يبحث في كل شيء حتى في الكلام الذي ينطقه فضلاً عن ما يراه ويسمعه، وكانت مدركاته محدودة ومقتصرة على التجربة البسيطة والمشاهدة الحسية والافكار النبيلة.**

ولعل واحدة من اعمـق الافكار التي حـاول الانسـان أن يجيب عنهـا مسألة فهـم الوجود وفهـم نفسه كجـزء بسيط من هـذا الكون الكبير، فأخـذ يتوغل في معرفة الكـون، وانشغـل الانسان بفكرة انشاء الكـون وخلقه ومـا وراءه والعوالم التـي ترتبط به، فسردت الحكايات وبنيت القصص وأسست الاساطير وغلفت باطار مقدس وبعـض الاحيان مخـوف لا يمكن كسـره ولا فـك شيفرته وحـين نرجع إلى تاريخ الحضارات نجد بوضوح كيف كان الانسان شديد العناية بفهم الكون وكيف ربـط كل تأثير بتلك القـوى المطلقة والتي أطلـق عليهـا آلهـة السماء، ولمـا نفحص تـراث الحضـارة البابلية نجـد أن الاله آنو قد خلق السماء وخلقـت السماء الارض وخلقت الارض الانهار وخلقت الانهار الاقنيـة التـي خلقـت المستنقعـات[1]..

> **الكـون ليـس أغـرب ما فـكـرنا فيـه، بـل أغـرب مـا يمـكـن أن نفـكـر فيـه**

والصين أيضاً مصدر لعدد من التفسيرات المثـيرة، وأحد هـذه التفسـيرات يتضمن العملاق بان جو، في هذه الاسطورة يظهر الكـون كبيضـة عملاقـة كان شخصيتها نائمـاً داخـل البيضـة لآلاف السنـين ثم استيقظ وتحرر محطماً البيضة وهكذا انتقل الكـون إلى تشكلاتـه المعاصـرة من سماء وارضـ وما شابـه[2] كما يعتقـد الفراعنة بتعدد الالهـة وان النظام الكوني مسير من قبل مجموعـة من الالهة وتظهـر بوضوح عقيدتهم بالملكة كليوباتـرا[3]، ويشبههم بهذا الاعتقاد بعض اليونانيين، وكثير من الامم والمجتمعـات الانسانيـة في مختلـف الحضـارات، بـل نجـد أن عبـادة النجوم والكواكـب كانـت معروفـة ومشهورة تقديس بعض الظواهر الكونية كانت وما زالـت عند بعض الشعوب تأخـذ أثرها في حياتهـم العقدية، وفي مقابـل هـذه الاتجاهـات الخرافية توجد مدارس أخرى دينية تصرح أن هذا الكون العظيم اوجده خالق وتشرح ابعاده وتفاصيله وتربط كل شيء به فهـي بصورة منطقيـة تعزو ان ما يشاهـده الانسان مـن مظاهر وحوادث وتفاصيـل مرجعـه إلى خالـق واحد فقط لا غـير، ولكن شاب بعض هذه المدارس الالهيـة التغيير عن الرؤيـة الدقيقة، فمثلاً تجسيـم الاله وتجسيـده كان معتقد الكثير

١ ـ الكون: د.كارل ساغان، ترجمة نافع أيوب، سلسلة عالم المعرفة، ص١١.

٢ ـ علـم الكونيـات: بيـتر كولز، ترجمـة محمد فتحي خضـر، مؤسسة هنداوي للتعليـم والثقافة، مصر، ط١، ٢٠١٥م، ص١٠.

٣ ـ بنـاء الكـون ومصـير الانسان: هشـام طالب، دار المعرفة، ط١، ٢٠٠٦م، ص١٢٢.

من الناس الذين يدعون انتمائهم للدين الالهي، وهذا الاعتقاد دفع بعض المفكرين أن يستهجن طريقة المؤمنين بتفسير الكون ولا ريب ان هذا الاستهجان بهذا المقدار صحيح جداً، حيث لا يمكن تفسير الكون بأنه مخلوق لخالق كبير يوجد في حيز في هذا الوجود، فبعض هذا الكون يشغل هذا الاله وبعضه الآخر غير منشغل به، ولا ريب أن وهن هذه الفكرة لا يحتاج إلى توضيح أو تعليق، وهنا ينبغي أن نسجل نقطة ضرورية إن بعض الذين ينكرون وجود خالق لهذا الكون ينطلقون من فهم الاله عبر طرق الديانات المعروفة المشهورة، وكيف ما يكون فإن الدين الالهي يتوافق مع رؤية الانسان في أن لكل مصنوع صانع ويقر هذه الرؤية، بل يعتمد عليها في إثبات حقائق أخرى، وقد ترك الدين المساحة للانسان في البحث في هذا الوجود والتأمل في هذا الكون، بل نبه الانسان للوجود ولنظامه ودقته والبحث فيه، وقد تأثر بهذه الدعوة الكثير من العلماء، هذا من جانب ومن جانب آخر نجد أن الدين فسر هذا الكون وحلله وشرح بعض الغامض منه، بل وسع فكر الانسان ونظرته تجاه الكون، ولما دخلت النظرية العلمية وتطورت فأعطت قولها بأن هذا الكون جاء نتيجة الانفجار العظيم قبل ١٤ مليار سنة حيث انبثق من كرة نار ساخنة كثيفة[٤] وتحول الايمان بهذه النظرية إلى تفسيرات خارج النطاق العلمي والفيزيائي، وما قد يُظن من أن نظرية الانفجار الكبير تفسر نشأة هذا الكون خطأ واضح، لأن هذه النظرية انما تفسر الوضع الكوني القائم من مجرات وشموس وكواكب وأقمار، ولا تفسر أصل نشأة المادة والعناصر المكونة له، إذ لا بد في الانفجار من شيء يتشظى إلى أجزاء من خلال الانفجار، فإنه ليس الا حالة تشظ توجد في شيء ولا معنى لحصوله من غير شيء[٥]، فالعلم يفسر الموضوعات بمنطقه وقد اقحم العلم في اكثر من جهة كي يفسرها ويحل لغزها واحد تلك الالغاز وجود الكون ونشأته وأصله ولا اعتقد أن العلم يحل لغز مثل هذا فهو خارج قوانينه الموضوعة له، يقول تشارلز تاونس: إن العلم يبحث عن آلية الكون، في حين أن الدين يسعى لتعرف معنى هذه الآلية، وليس بوسع معارفنا أن تفصل بينهما[٦] ونجد العلماء اليوم يفسرون هذه الحياة البسيطة على وجه الارض بأنها احتاجت لمليارات من السنين كي تكون صالحة للعيش بعد أن تتوفر فيها الظواهر الطبيعية والمناخ المناسب من أوكسجين وماء وتشكلات كيميائية أخرى وهذه الظروف تتطلب أن يكون هذا الكون كان بصورة مغايرة وبمعايير معينة دقيقة كي تتأهل الحياة وتتطور إلى مرحلة الذكاء[٧]، وكلما تأملنا وجدنا أن الكون ليس فقط أغرب مما فكرنا فيه، وانما أغرب مما يمكن أن نفكر فيه[٨]، بل أن التفكير فيه يجعل الانسان يحترم وجوده جداً، ويشعر أن لا بد من هدفية لهذه الحياة وغاية تتناسب مع دقة النظام الكوني، فيشعر المرء كل شيء مجعول ضمن نسق لا يمكن الانفكاك عنه وان الكون على عظمته وسعته منتظم ومنسجم ومركب بصورة دقيقة ومدهشة، وما يزال الانسان منشغلاً بتفسير الغاز هذا الكون العظيم، وحيرته تدفعه أن يقر بكل ايمان بوجود خالق ومبدع لكل هذه التشكلات الرائعة والمدهشة للنجوم بل كلما غاص الانسان كان عليه ان يفسر بصورة منطقية احتياج هذا الكون إلى موجد وصانع، وبالرغم من وضوح هذه الحقيقة الا أن بعض من يشتغل بمجال الكونيات والفيزياء أنكر أن لغز الكون مرتبط بخالق قدير، وما يمكن أن يقال هنا أن الحياة التي نعيشها لا بد وأن نفهمها من عدة محاور كي نحكم في نهاية المطاف عليها حكماً كلياً مشبعاً بالادلة، فالعالم بالكون يصدر حكمه وفق النتائج التي توصل اليها والحق أنه يتحتم عليه ان يوافق بين عدة علوم ويراجع مختلف الموضوعات كي يهضم فكرة الخالق ومن ثم يعطي رأيه بهذا الخصوص، فالطريقة العلمية اذا لم توصل عالم الكونيات لحل لغز الكون لا يمكنه نكران تلك المعرفة اذا لم يتجه لطريق آخر ربما غير طريق التجربة!، ان الشمولية اليوم تحل لنا الكثير من المشاكل العائمة التي لا نجد تفسيراً مقنعاً لها، والجمود على علم أو تجربة واحدة تؤدي بنا إلى انكار الكثير من الحقائق التي لا نلامسها بطرقنا ودواتنا الخاص، ولا سيما وان العلم يتقدم في عصرنا هذا تقدماً مذهلاً وأخذ يفرع العلوم إلى علوم دقيقة فتجد كل علم صار شبكة من التفرعات وفي كل واحد منها حدوده التي يتميز بها عن غيره، وتلك دعوة لمن يتسرع في انكار شيء أو اثباته بسرعة والتي تكشف عن الحالة الانطباعية بعض الاحيان لا أكثر، فلغز الكون يبقى يشكل الحضور الابرز في ساحة التساؤلات الانسانية وتلك حالة في غاية الصحة، لأن الله عز وجل يريدنا أن نندهش بقدرته، وأن نفكر دائماً ونبحث ونتعمق في هذا الكون الذي خلقه للدهشة والتعمق والجمال، فمن الرائع حقاً ان نبذل الجهد لنعيش هذا اللغز الرهيب ولنتقرب أكثر منه، حتى وان لم ندرك أو نحيط بتفاصيله وكوامنه، فإن الحوم حوله يثير فينا رغبات علمية ومعرفة في غاية الاهمية وكلها تصب في مصلحة الإيمان لا الإنكار، فمن يقترب من الشمس لا بد وان يلسع بحرارتها لا أن يبرد وينكر نارها ونورها.

٤ ـ قصة الكون: جون، جريبين، ترجمة د. مصطفى ابراهيم فهمي، كلمات عربية للنشر، ط٣، ٢٠١٣م، ص٦٥.

٥ ـ القواعد الفطرية العامة للمعرفة الانسانية والدينية: السيد محمد باقر السيستاني، ط٢، ٢٠١٨م، ج٤، ص١٥٦.

٦ ـ موجز تاريخ الكون: د. هاني خليل زرق، دار الفكر بدمشق، ط١، ٢٠٠٣م، ص٢٠.

٧ ـ الجائزة الكونية الكبرى، بول ديفيز، ترجمة محمد فتحي خضر، كلمات للترجمة والنشر، القاهرة ـ مصر، ط١، ٢٠١٢م، ص١٩.

٨ ـ كيف تبنى آلة الزمن: بول ديفيز، ترجمة منير شريف، المركز القومي للترجمة، ط١، ٢٠١٠م، ص٢٢.

# مخطوطة منافع الحيوان لإبن بختشيوع

بقلم المهندس الاستشاري: تحسين عمارة

**الصورة المرفقة مستلة من مخطوطة (منافع الحيوان) لمؤلفها المسيحي النسطوري الأصل عبد الله بن بختشيوع وهو ابن اسرة دفعها الاضطهاد الديني لمذهبها الى الهجرة من موطنها بيزنطة لتعيش في مدينة جندسابور في اقليم الأهواز لتمارس ترجمة النصوص اليونانية إلى العربية.**

ظلت اسرة هذا النسطوري تعمل في خدمة بغداد قرابة قرنين من الزمان بدءًا من عهد المنصور العباسي (ت:١٥٨هـ) حتى عصر عضد الدولة البويهي (ت:٣٧٢هـ)، وتنقل كتب التاريخ الكثير من الحوادث الطبية عن هذه الأسرة.

الف ابن بختشيوع (ت:٢١٣هـ) كتابه باللغة العربية وهي لغة العلوم السائدة في تلك القرون، وحتى ان الشاعر الفارسي عمر الخيام (ت:٥٢٥هـ) الف كتبه في مجال علوم الرياضيات وغيرها باللغة العربية، وكما هي لغة العلوم الإنكليزية السائدة في أيامنا، و لم تتم ترجمة المخطوطة إلى الفارسية إلا في عصر إيلخانات المغول وفي أيام السلطان غازان محمود (٦٩٤ - ٧٠٢ هـ).

يتناول الكتاب الإنسان والحيوان بنفس المنهج الذي اتبعه العلماء اليونانيين على النباتات بالإضافة إلى منافع الحيوان، تبدأ المخطوطة بصفحتها الأولى «قال الشيخ الامام عبد الله بن جبريل بن بختشيوع رحمه الله تعالى: قد ذكرت في هذا الكتاب ما تفرق من كتب الحكماء من منافع الحيوان وخواصه وما اختير بالتجارب والنقل ما عدا ذلك وقد رتبته حسب الأقتراح وقدمت امام ذلك ما خص الله تعالى به الإنسان من الطبائع العجيبة والخواص الظريفة والمنافع العميمة ما ندعوا ذوي العقول الكبيرة...» وقد صنف في هذا المخطوط الحيوانات الأليفة، والحيوانات البرية والطيور والسحالي وبعض الأسماك والحشرات، وضم أساطير شعبية وخرافات طبية سنطلع عليها من قراءة الصفحتين ١٠ و ١١ من المخطوطة والتي ترافقنا صورتيهما.. والتي تعطينا صورة على باقي صفحات المخطوطة وما كان يعتمد طبيا قبل ١٢٠٠ عام، وما توصل اليه الطب وباقي العلوم في أيامنا الحاضرة.

في الصفحة ٩ عنوان: الكلام على البغل وما فيه من الخواص... وفي الصفحة ١٠ كما في الصورة: (صبور ألوف أذّل دابة أهدى الدواب إلى الطريق التي سلكها مرة واحدة، وهو عدو الذئب محب لسائسه رديء اللحم يُمرض آكله ومتى أكثر البغل شم البغلة هرم سريعا، **جلده** إن أخذ وجعل فيه وع[1] أذن بغله وعلق على امرأة لم تحبل مادام عليها. وان ترك في نبيذ... وفي الصفحة ١١ كما في الصورة: أسكر سكرا عظيما. **عرفها** إذا احتملته المرأة في قطنة لم تحبل أصلا. **حافرها** إذا أمسكته المرأة لم تحبل. وحافر البغل من رجله اليسرى إذا دخن به بيت مات الفار.

**الكلام على الحمار وما فيه من خواص**

زعموا أصحاب الطبايع ان ما في الحيوان ما مينزو[2] غير نوعه فيلقح غيره، ومن طباعه بحبه الكلب ويؤثم ان ينزو لكثرة شبقه، لحمه غليظ يحدث الوباء، مخه...).

أما الصور والتي يبلغ عددها ٩٤ صورة وقد احتلت كل صورة صفحة من صفحات المخطوطة البالغة عدد صفحاتها ١١٦ صفحة، أي أن أغلب صفحات المخطوطة تحتوي على صورة وقد اعتمد في رسمها على المدرسة البغدادية العراقية في التصوير أو بطريقة المنمنمات العربية والتي سادت لفترة طويلة وحتى اثناء حكم المغول.

١ـ ما يقشر من الجلد او وسخ الإذن.

٢ـ النزو: الشهوة

# أسـئلة يجيب عنهـا بعض أسـاتذة الحوزة العلمية في النجف الأشـرف

ملحوظة: الأجوبة وفق فتاوى المرجع الديني الأعلى
السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله)

**السؤال:**

تقتضي مهنة الطبيب أن يفحص الطبيب مريضاته بعناية، ولما كان خلع الملابس الخارجية أثناء الفحص متعارفاً في بعض البلدان الأوربية، فهل تجوز ممارسة مهنة الطب هنا على هذه الصورة؟

**الجواب:**

يجوز مع تجنب النظر واللمس المحرَّمين، إلاّ بمقدار ما يتوقف عليه تشخيص المرض.

**السؤال:**

هل يحق للطبيب النظر الى جسد المرأة ؟

**الجواب:**

يحق للطبيب النظر الى جسد المرأة، ولمسه اذا توقّفت معالجتها على اللّمس والنظر. هذا اذا اضطرّت المرأة الى العلاج من مرضها وكان الطبيب الرجل ارفق بعلاجها من الطبيبة، وإلاّ فلتراجع الطبيبة ولا يحقّ لها مراجعة الطبيب.

**السؤال:**

يرى الطبيب المعالج أحياناً أن يكشف بعض مواضع جسم المرأة الأجنبية، بما فيها المواضع الحساسة، عدا العورة، فهل يجوز لها كشف جسمها:

١. في حالة وجود طبيبة يمكن مراجعتها، ولكن بكلفة مادية غالية بعض الشيء؟

٢. في حالة كون المرض غير خطير، ولكنه مرض على كل حال؟

٣. ثم ما هو الحكم في حالة ما إذا كان المطلوب كشفه، هو العورة؟

**الجواب:**

١. لا يجوز مع إمكان مراجعة الطبيبة، إلاّ إذا كلفت مراجعتها مبالغ مضرة بحالها.

٢. يجوز إذا كانت تتضرر بترك علاجه، أو تقع في حرج شديد لا يتحمل عادة.

٣. الحكم فيه ما مرّ، ولا بدّ من الاقتصار في الكشف في الحالتين على مقدار الضرورة.

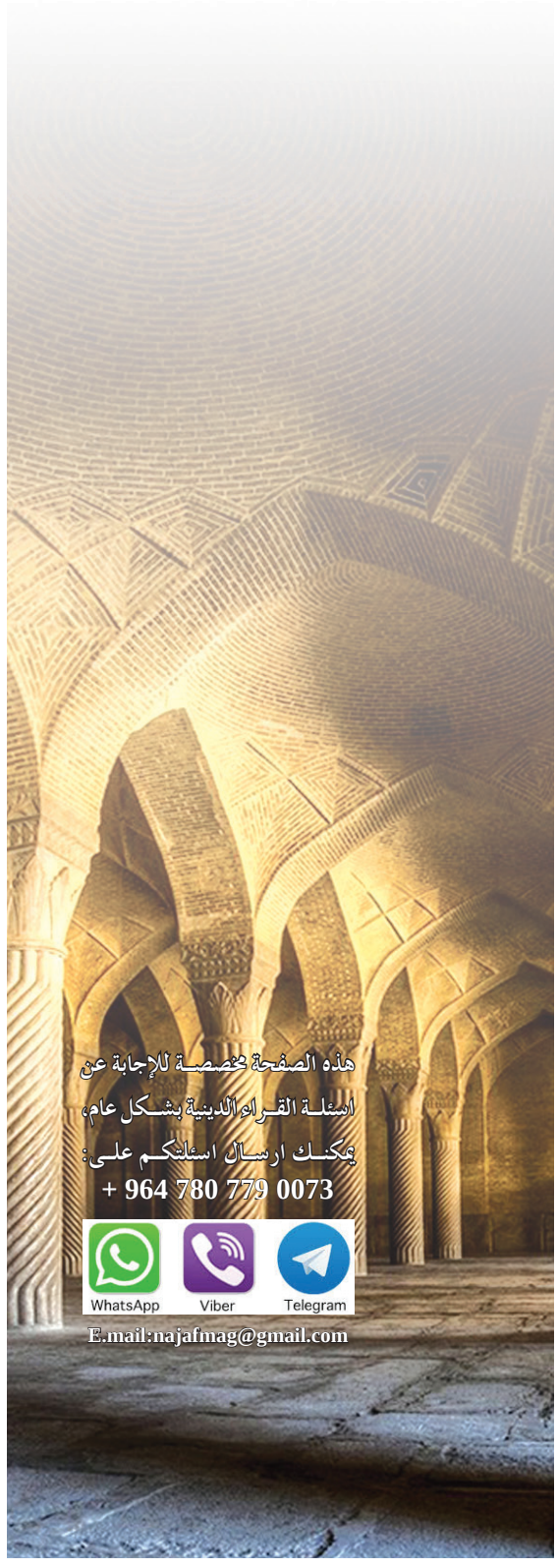

وإن أمكـن العـلاج مـن دون النظر المباشـر الى ما يحرم النظـر اليه، كالنظر عـبر الشاشـة التلفزيونية أو المـرآة فهو الأحوط.

**السؤال:**

امـرأة أخرجـت الحـق الشرعـي (الخمس) فهل يجـوز أن تعطـي ابنها الفقير من الحق أو لا؟

**الجواب:**

لا يجوز على الأحوط وجوبا.

**السؤال:**

هناك عمليـات تجميل للوجه تقتصر فقط علـى زرق الابـر في الوجه (مادة البوتوكس أو مادة الفلـر)، فهل يجوز أن يجريهـا الطبيب للنساء إذا لم تستلزم العمليـة كشف غير الوجـه و لم تستلزم اللمس (اضافة الى كون الطبيب يرتدي الكفوف)؟

**الجواب:**

لا يجوز ذلك الا مع الأمن من النظر اليهـا بتلذذ شهوي أو مع الريبة، نعم إذا كانـت العملية التجميلية ممـا اضطرت اليه المرأة لرفـع تشوّه مثلاً وكان الرجل أرفـق بعلاجها جاز لـه النظر أو اللمس بالمقدار الذي يتوقف عليه معالجتها.

**السؤال:**

ما هي دية ازرقاق اليد؟

**الجواب:**

ديـة ازرقـاق اليد هي مثقـال وثمن المثقال من الذهب.

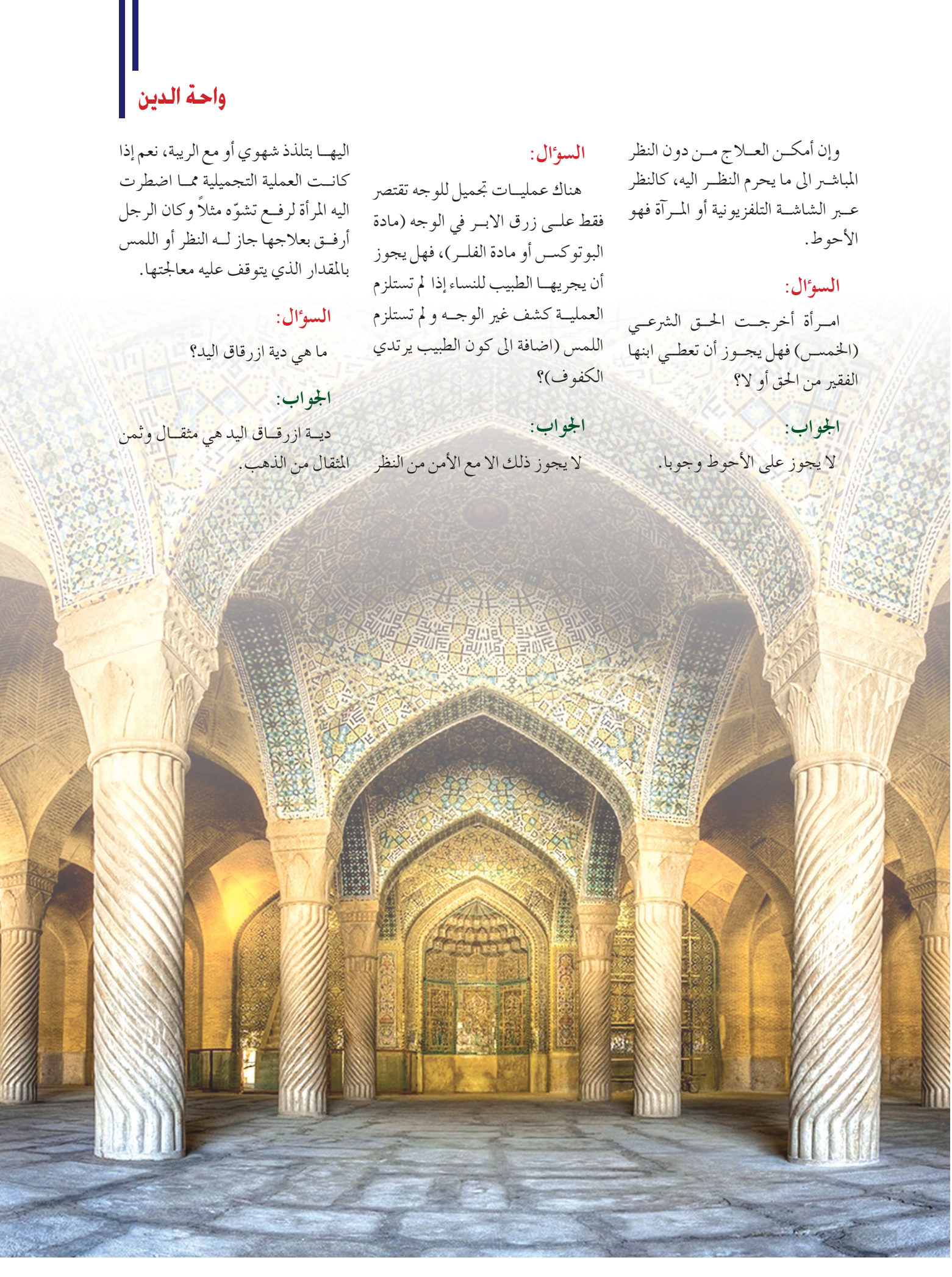

# أنحاء الإسعاف لمعرفي للإنسان في الدين

مقتطفات من كتاب حقيقة الدين لسماحة السيد محمد باقر السيستاني

الزويــة المعرفية الدينية تذعن بالإدراك العقلي للإنســان في ثوابته، أي مساحاته التــي يكون حكم العقل فيها واضحــاً لا لبس فيه، ممّا يمكن أن يدركــه أي إنسان سليم الفكر.

ولكنها ترى ـ رغم ذلك ـ عدم استغناء الإنسان في معرفته الكونية عن إسعافٍ معرفي.

## فالإسعاف المعرفي للإنسان في الدين على أربعة أنحاء..

**النحو الأول**: تأكيد ما يجده الإنسان بعقله في مقابل الخرافات والأوهام، مثل ما ورد في كتاب الله من التأكيد على حكم العقل القاضي بعدم صلاحية الأصنام والكواكب والأشخاص للألوهية، فجاء في شأن الأصنام التنبيه على أنها صنيعة يد الإنسان، قال تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾الصافات٩٥-٩٦.

وورد في شأن تأليه عيسى بن مريم(ع) قوله تعالى: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ المائدة/٧٥ إشارة إلى أنّ من يكون بهذه الصفة لا يحتمل ـ بإدراك واضح من العقل ـ أن يكون إلهاً.

وكذا ما ورد في شأن الكواكب من التنبيه على أنها كائنات مسخّرة تظهر تارةً وتأفل تارة أخرى، فلا يعقل أن تكون هي الخالق للكون والكائنات والمدبر لها، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾الأنعام٧٦-٧٨.

**النحو الثاني**: تنبيه الإنسان وإيقاظه على ما يجده ويشهده من الأمور، ولكن لا يعيه حق وعيه ولا ينتقل لدلالته وغايته، فإذا نُبّه عليه انتبه من غفلته وانتقل ذهنه لمدلولاته، ولربما تعجّب من نفسه كيف رآه و لم يلتفت إلى دلالته؟!

ومن ذلك ما ورد في القرآن الكريم من التنبيه على دلالة الخلق ونظام الكون على الخالق.. فهذا الشيء إذا وعاه الإنسان بنفسه لم يحتج إلى إسعاف، ولكنه قد يغفل عنه ولا ينتقل إلى دلالته، فيحتاج إلى من ينبهه عليه.

**النحو الثالث**: إعلام الإنسان بما يجهله مما يحتاج إليه من شؤون ما وراء الطبيعة، مثل الدار الآخرة؛ إذ من الصعوبة أن ينتقل الإنسان بوضوح وجزم إلى وجود المعاد والنشأة الأخرى لولا إخبار الوحي بذلك.

**النحو الرابع**: إعلام الإنسان بعدم استطاعته التوغّل بفكره في أمور ما وراء الطبيعة؛ لعدم وجود أدوات واضحة لديه في شأنها، وعدم صحة مقايسة ذلك العالم بعالم المادة.

وإذا ما أمعن الإنسان في التفكير حول ما وراء الطبيعة والتنظير فيه والبناء عليه لم ينته إلى نتيجة واضحة، بل ينتهي إلى الخرافات الباطلة، كإيمان اليونانيين بوجود (عقول عشرة) متوسطة بين الخالق وعالم المادة، واعتقاد بعضهم بوجود كائن أعلى لكل نوع من أنواع الكائنات يدبّر أحوالها سمّوها بـ(أرباب الأنواع)، أوْ اعتقاد المشركين في الجاهلية أن الملائكة بنات، وما أشبه ذلك.

## احترام الرؤية الدينية لعقل الإنسان في ثوابت الدين

وبذلك يتّضح أنّ الرؤية المعرفية الدينية تحترم عقل الإنسان في ثوابته ومحكماته ـ وهي المساحة الواضحة والناصعة في الإدراك ـ التي تكون قريبة المأخذ من مدارك العقل، إلاّ أنّ إدراك الإنسان ـ بنظر الدين ـ لا يفي بكشف المشهد الكامل للكون وأبعاده وما يتضمنه من حقائق خطيرة، خلافاً لما تعتقده بعض الاتجاهات الفكرية الفلسفية في أوساط المسلمين، ممّن يرون أنّ بإمكان الإنسان أن يصل إلى تمام مساحة الوجود وخباياه بالتأمل والبحث.

والواقع إنّ ما يطرح من الاستدلالات في هذا الصدد ـ ممّا يظنّ أصحاب الاتجاه المذكور أنّها براهين صائبة ـ لا يزيد في واقعه عن استحسانات واستبعادات ذهنية ناشئة من ميول أو نفور أو استغراب، تصاغ بصورة فنية؛ فتُتلقى برهاناً.

العتبة العباسية المقدسة

# الطحالب البحرية
# Ascophyllum Nodosum

## مستخلص طحالب بحرية ١٠٠%

تحتوي على أكثر من ٣٠٪ مركب طبيعي و٤٥٪ k2o

محفزات النمو الطبيعي

اوكسينات . جبرلينات . سايتوكايتينات . أحماض أمينيه . كاربوهيدرات

عناصر صغرى/ مغنيسيوم . كاليسيوم . زنك . بورون . حديد . كبريت

نحاس معدل الاستخدام / ١٣ . ٣ ملم لتر ماء رش.

العنوان: كربلاء المقدسة: طريق (كربلاء-نجف)

# شركة

# الكفيل

## للاستثمارات العامة

### من منتجات مجمع الجود لتكنولوجيا الزراعة الحديثة

**الفوائد:**

١- يعمل على زيادة المجموع الجذري.

٢- زيادة تحمل النبات للملوحة العالية.

٣- تحمل درجات الحرارة المنخفضة والعالية.

٤- دعم وتحفيز المناعة المكتسبة الجهازية.

٥- يطيل من العمر الانتاجي للمحصول.

07602329937 | 07830061886 | www.alkafeelinv.com istthmari@yahoo.com

ساهم في

# كفالة يتيم

مؤسسة العين للرعاية الاجتماعية
منظمة غير حكومية ذات نفع عام

ولا يحزنوا ولا تحزن

مقدار المساهمة الواحدة

25,000

6777

aynyateem.com